

VOL, 3 NO, 1. 2017

Journal of Islamic Studies & Thought for Specialized Researches

e-ISSN: 2289-9065

Contact:

jistsr.siats.co.uk \ Email: jistsr@siats.co.uk

International Journal of Islamic Studies & Thought for Specialized Researches

====================================

Contact us

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Research (JISTSR)

Mohamed Fathy Mohamed Abdelgelil Editor-in-Chief: mailto:jistsr@siats.co.uk

http:// jistsr.siats.co.uk



SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches (JISTSR)

jistsr.siats.co.uk \ Email: jistsr@siats.co.uk

WhatsApp: 0060178330229



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد 3 ، العدد 1 ، 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

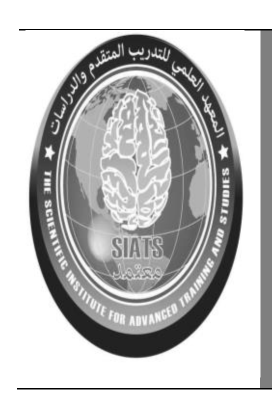
2017م

مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية

مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية، مجلة تعمل في ميدان الإصلاح الفكري والمعرفي، بوصفه واحداً من مرتكزات المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر.

تسعى المجلة لأن تكون مرفأً للعلماء والمفكرين والباحثين وجمهور المثقفين للعمل الجّاد على إصلاح الفكر والمنهجية الإسلامية على مستوى الأمة، متجاوزة حدود اللغة والإقليم، خدمة للإنسانية أجمع، سعياً لتحقيق هدف أكبر يتمثل في ترقية مستويات الفكر الإنساني على الصعيد العالمي.

تستهدف مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للأبحاث التخصصية، الأبحاث العلمية ذات الجودة العالية بغية تقديم مادّة علمية متقنة؛ مفيدة للباحثين والمثقفين والمتخصصين، لتشكّل مرجعية علمية يُعتد بها في مسيرة تحقيق رؤيتنا المذكورة، وتتعهد إدارة المجلة بالتواصل مع الباحثين والكتّاب من مختلف المشارب والتيارات لترقية أبحاثهم ومقالاتهم دعماً منها للحركة العلمية والجهود الفكرية في مجال إصلاح وترقية منظومة الفكر الإنساني.



SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 1،كانون الثاني ،يناير 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

THE JOURNEY IN THE HOLY QURAN AND ITS IMPACT ON THE REALITY OF THE ISLAMIC NATION

الرحلة في القرآن الكريم وأثرها في واقع الأمة الإسلامية

دراسة دلالية

د. نهلة عبد الكريم الحرتاني

د. فاطمة سوه يان مي **د. محمد يوسف**

جامعة السلطان إدريس التربوية– ماليزيا

nahla@fbk.upsi.edu.my

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 2/9/2016
Received in revised form 3/10/2016
Accepted 5/11/2016
Available online 15/1/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

By the Almighty Allah's destine, Human life is about journey in time and place to demonstrate that human life looks like a corridor with two dimensions; at the end, either they enter to the Paradise or the fire of Hell. This study investigates the journey in the Holy Quran; in terms of words, significances, types, purposes, and their imprecations on the Muslims' lives. The study combined both theoretical and practical sides of the journey in the Holy Quran by citing some practical examples from the book of Allah applying descriptive and analytical methods. The scoop of this paper seems to be new since the investigations conducted in the area of the study are quite few. The results indicated that the universe movement, change, and conversion are the fundamental purpose on which God created the universe and determine the life of the Islamic Ummah.

Key words :The journey -Semantics- The Holy Quran.



الملخص

حياة الإنسان رحلة في الزمان والمكان بتقدير من الله جل وعلا، وبهدف بيان أن حياة الإنسان ممر، مآله إما الجنة مقر، أو نار سقر، من هنا جاء هذا البحث ليتناول الرحلة في القرآن الكريم من حيث ألفاظها ودلالتها ، وأنواعها، ومقاصدها، وأثرها في واقع الأمة الإسلامية. وتم التركيز على المزاوجة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي لهذا الموضوع من خلال نماذج تطبيقية من السياق القرآني، ولاستيفاء الدراسة تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي. وهذا البحث هو أصيل في بابه غير مسبوق بدراسة متخصصة في هذا المجال، وقد خلص إلى نتائج علمية تفيد أن الحركة والتغيير والتنقل هو الأساس الذي خلق الله عليه الكون، وعليه تسير حياة الأمة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الرحلة – الدلالة– القرآن الكريم .



المقدمة

أشار القرآن الكريم إلى الرحلة في سورة (قريش) 1-2، وهي في معناها اللغوي تفيد السير والانتقال والوجهه، وتفيد هذه الإشارة أهمية الرحلة في حياة الإنسان، فلقد كانت الرحلة من خلق آدم عليه السلام وحياته في الجنة، ثم هبوطه للأرض ورحلته فيها، ثم رحلة الانتقال للعالم الآخر، وهذا التغيير يهدف إلى بيان أن حياة الإنسان رحلة طويلة قبل خلقه وبعد أن يخلق، ولقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ مقاربة للرحلة، وتضيف لها أبعادا مختلفة، وللرحلة في السياق القرآني أنواع مقترنة بجانب تطبيقي:

أولا: الرحلة الروحية:

- رحلة ما قبل الخلق وبعده و الخروج من الحياة الدنيا: وتمثلها الإشارات القرآنية المتعددة، خاصة ما ورد في سورة ق: 19- 25، وسورة الواقعة: 83-93، وسورة القيامة: 24-30 .

ثانيا: الرحلة الواقعية:

- الرحلة الدينية: تمثلها رحلة الإسراء والمعراج للرسول صلى الله عليه وسلم والهجرة النبوية وحجة الوداع، ورحلات الأنبياء والرسل في تبليغ الرسالات السماوية.
- رحلة التعليم والتعلم: تمثلها رحلة موسى عليه السلام مع الخضر .
- الرحلة التجارية: تمثلها رحلة قريش قي الشتاء والصيف.
- الرحلة السياسية : رحلة رسل بلقيس لسليمان عليه السلام.
- رحلة الاستكشاف: تمثلها رحلة ذي القرنين في مشرق الأرض ومغربها.

من هنا كان السبب في اختيار موضوع هذا البحث لبيان سعة مفهوم الرحلة من ناحية دلالية، وأنواعها، ونماذج تطبيقية لها، وأسبقية أمة الإسلام بالمعرفة التطبيقية للرحلة بكافة أنواعها من بر وبحر وجو وفضاء، وكان هذا مما أعز هذه الأمة ورفع قدرها روحا وعلما وواقعا.

وإذا كانت الرحلة مفادها التنقل والارتحال، فهناك ألفاظ في القرآن الكريم تقاربها في المعني، وهذه الرحلة لها أسباب ودوافع وآثار في واقع حياة المسلم خاصة وواقع حياة الأمة الإسلامية عامة، فما مدى هذا التأثير، وكيفية هذا التأثير،



وهل هو تأثير سلبي أم إيجابي، ولماذا خصص القرآن الكريم الرحلة التجارية وربطها بمفهوم العبادة كما ورد في سورة قريش؟

ويرجع هذا التركيز على مفهوم الرحلة بشكل عام إلى أنّ حياة الإنسان قائمة على الحركة و التغيير و الانتقال، لذلك الرحلة في السياق القرآني اقترنت بـ (إيلاف)، فحياة الإنسان ما هي إلا رحلة.

لذلك عُني البحث باستخدام منهج وصفي تحليلي تطبيقي في بيان مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح وما قاربها من ألفاظ، والتركيز على الرحلة في السياق القرآني والصورة التطبيقية لها كحدّ لهذه الدراسة، وإظهار المد الغيبي للرحلة، ومتى تكون الرحلة في مرضاة الله ، ومتى تكون في معصيته؟ ، وأثر الرحلة على أمة الإسلام.

وهذا البحث أصيل في بابه، فلا يوجد دراسة سابقة أبرزت هذا الجانب، من هنا تكمن صعوبته في استباط جوانب الرحلة من النص القرآني من خلال مفردات مقاربة لمعنى الرحلة، إذ إن النص القرآني عرض الرحلة بصورة غير مباشرة، باستثناء ما ورد ظاهرا في سورة قريش.

الفصل الأول: **مفاهيم ومصطلحات.**

سنستخدم الرحلة بمعناها الواسع وهو الانتقال من مكان لآخر مع التركيز على الألفاظ المقاربة ودلالتها، ونبدأ بمفهوم الرحلة لغة واصطلاحا.

المطلب الأول : مفهوم الرحلة والدلالة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا.

أ. **مفهوم الرحلة لغة** : مادتها (رَ حَ لَ)، ومنها الترحيل والارتحال ،يقال: رحل الرجل إذا سار و ارحلته أنا و رجل رحول وقوم رُحل أي يرتحلون كثيرا.

وجاءت الرحلة بمعنى الترحل والارتحال أي الانتقال من مكان لآخر وهو الرِحْلة والرُحْلة

الرحلة بالكسر : اسم للارتحال والسير، يقال: دنت رحلتنا.

والرحلة بالضم : الوجهة الذي تقصده وتريده تقول : أنت رحلتنا أو أنتم رحلتي أي الذين ارتحل إليهم.



فجاءت الرحلة بمعنى السير والانتقال والوجهه أو المقصد الذي يريد السفر إليه، ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر ، ومنه اشتق لفظ رحال، والرحالة كثير الارتحال.

ب. **الرحلة اصطلاحا**: هى تلك الرحلة البرية أو البحرية، الروحية أو الواقعية ، الحقيقة أو الخيالية التى تمر بها حياة الإنسان، ولقد تنوعت بتنوع أغراضها، كالتجارة أو طلب العلم أو الحج .

المبحث الثاني: مفهوم الدلالة.

أ. **الدلالة لغة**: مصدر دلّ يدلّ دلالة.

ب. **الدلالة اصطلاحا**: هي دراسة المعنى أو دراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى ، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى.[1]

المطلب الثاني: ألفاظ مقاربة لمعنى الرحلة وردت في القرآن الكريم.

المبحث الأول: حياة الإنسان في رحلة مستمرة.

خلق الإنسان للعبادة و مكلفا بالخلافة ومقتضياتها وما يلازمها من تعب ومشقة، ولقد أشار لذلك السياق القرآني في قوله تعالى:" لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ"البلد: 4، لذلك فحياته في حركة وتغيير وانتقال بصورة مستمرة سواء من ناحية داخلية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" الرعد: 11 أو واقعية، وإلى ذلك كانت إشارة ابن القيم – رحمه الله– : "إنَّ الناس منذُ خُلِقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حطٌّ عن رِحالهم إلاَّ في الجنَّة أو النار، والعاقل يعلم أنَّ السفر مبنيٌّ على المشقَّة ورُكوب الأخطار، ومِن المحال عادةً أنْ يُطلَب فيه نعيمٌ ولذَّة وراحةٌ، إنَّما ذلك بعدَ انتهاء السفر". [2]

---

[1] عمر، أحمد مختار: علم الدلالة ، دار العروبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1982م ، ص11.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 1973 م، ص 400.



وقال – رحمه الله– : "والنَّاس في هذه الدَّار على جَناحِ سفَر كلُّهم، وكلُّ مسافرٍ فهو ظاعنٌ إلى مقصده، ونازِلٌ على مَن يسرُّ بالنزول عليه، وطالب الله والدار الآخِرة إنَّما هو ظاعِنٌ إلى الله في حال سفَرِه، ونازلٌ عليه عندَ القدوم عليه، فهذه هِمَّتُه في سَفره وفي انقضائه".

والمسافِرُ إلى الله ربِّ العالمين لا بدَّ له أنْ يتزوَّد، بل هو أحقُّ بالتزوُّد مِن هذا الذي يتنقل بينَ البلاد،

وعليه أنْ يختارَ بدِقَّةٍ بالغةٍ المكانَ الذي يريدُ أنْ ينزل فيه، وهناك ليس إلاَّ مكانان: جنة ونار؛ "فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ" الشورى:7

المبحث الثاني : ألفاظ مقاربة للرحلة وردت في القرآن الكريم.

وردت في القرآن الكريم ألفاظ مقاربة للرحلة، فالإسراء، والمعراج، والهبوط، والهجرة، والسفر، التوجه، والسياحة، الذهاب، السير، والاعتزال ، والانتباذ، والإجلاء، والخروج، والإقصاء، ، النفر، والجهاد، هي ألفاظ تقارب في مضمونها معنى الرحلة، وتضيف لها أبعادا نفسية مختلفة.

1. الهجرة:

هَجَرَ (فَعَلَ): من هجر يهاجر بمعنى يترك وطنه : " وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " النساء : 100، ومنه هاجر ترك وطنه وانتقل لمكان آخر: "يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ " الحشر 9، ومنه مهاجر اسم فاعل بمعنى تارك لوطنه : "وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ". العنكبوت: 26، فالهجرة إذن ترك الوطن في سبيل الله ولطاعة الله.

2. الإسراء:

سري (فَعَلَ): ومنه أسرى (أفعل)، وتعني السير ليلا :" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً " الإسراء : 1، ومنه أَسِرِ، فعل أمر بمعنى سر ليلا " فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلا " الدخان: 23، فالإسراء ترك المكان ليلا بأمر من الله تبارك وتعالى.

3. المعراج :

عَرَجَ (فَعَلَ) يعرج بمعنى يرتقي ويصعد :" تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ " المعارج :4، ومنه معارج (مفاعل) جمع مِعْرج (مِفعل) اسم آلة" وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ "الزخرف: 33، فالمعراج ترك للمكان، لكنه بالصعود والارتقاء نحو السماء، وهو خاص بالملائكة، وبمعراج الرسول صلى الله عليه وسلّم.



4. السياحة :

سَيَحَ (فَعَلَ) بمعنى السير في الأرض "فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ "التوبة :2، وبمعنى الجهاد مع الصيام وملازمة الطاعة "السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ" التوبة: 112، ومنه لقب عيسى عليه السلام بالمسيح لسيره في الأرض وجهاده مع الصيام.

فالسياحة ترك المكان للسير في الأرض بلا تحديد للمكان ، وإنما بتحديد للغرض .

5. الخروج والإخراج:

خرج (فَعَلَ): ومنه أخرج : أخرج الشيء جعله يخرج:" وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا " الزلزلة: 2، وبمعنى أزال عن المكان: " فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ " البقرة : 36، وبمعنى الإخراج والطرد:" وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ " البقرة : 217.

يخرج بمعنى يظهر ويبرز:" وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ " الأعراف: 58، وبمعنى يفارق :" اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا " الأعراف 18:، وبمعنى يجاهد:" فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا " التوبة: 83.

فالإخراج يكون ترك المكان بفعل فاعل لخير أو لشر، والخروج يكون للجهاد في سبيل الله.

6. الاعتزال:

عَزَلَ (فَعَلَ) ، ومنه اعتزل (افتعل) بمعنى تنحى وابتعد، ويعتزل يفارق ويتنحى:

" وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا " مريم: 48

فالاعتزال ترك المكان بالتنحي والابتعاد رفضا لشيء ما، وترك صحبة إلى خير منها ولو في اعتقاده، وهنا يلفتنا الحق سبحانه إلى إن الإنسان حين يجادل في قضية، ويرى عند خَصْمه لدداً وعناداً في الباطل، لا يطيل معه الكلام حتى لا يُؤصِّل فيه العناد، ويدعوه إلى كبرياء الغَلَبة ولو بالباطل.

7. السير :

سار (فَعَلَ) يسير بمعنى يمضي ويذهب ويسافر : ومنه فعل الأمر (سِر) بمعنى السفر، "سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ " سبأ: 18، ومنه السيارة لفظ جمع فعالة أي المسافرون، "يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ" يوسف: 10 "وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ" سورة يوسف: 19، فالسير ترك المكان دون وجهة معينة بغرض الانتقاء.



8. التوجه:

وجه (فَعَلَ) بمعنى قصد، ومنه توجه:" وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ" القصص: 22، أي ترك المكان لقصد جهة معينة.

9.الانتباذ:

نبذ (فَعَلَ)، ومنه انتبذ (افتعل)، اعتزل وانفرد وتنحى، أي بعد :"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا" مريم: 16

فالانتباذ يكون في البقعة المكانية نفسها دون ترك للمكان .

10.الانتشار:

نَشَرَ (فَعَلَ) ينتشر، وانتشروا فعل أمر بمعنى انصرفوا وتفرقوا لطلب الرزق.

"فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ" الجمعة: 10

فالانشار ترك للمكان من أجل العمل وطلب الرزق.

11.الضرب:

ضَرَبَ (فَعَلَ) يضرب : يضرب في الأرض بمعنى يسافر ويجاهد إما لطلب الرزق: "وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ " المزمل 20، أو الخروج للجهاد في سبيل الله " وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ" النساء 101

12. الجلاء:

جَلَيَ (فَعَلَ) مصدره جلاء (فَعَال) : خروج مع الأهل والولد بنية عدم العودة أي الهجرة والخروج الجماعي "وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاء " الحشر3

فالجلاء ترك المكان دون نية في العودة ويكون برفقة الأهل والولد.

13.التجاوز:

جَيَزَ (فَعَلَ)، ومنه جاوز (فَاعَل) بمعنى تعدى وعبر :"فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا " الكهف: 62، "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ "الأعراف: 138

فالتجاوز ترك المكان بالعبور لمكان آخر.



14: الهبوط:

هبط (فَعَلَ) يهبط : لغة بمعنى ينحدر وينزل، "وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" البقرة: 74 ، اهبط بمعنى انزل : "قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ" هود : 48، واهبطوا انزلوا:" وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ" البقرة: 36 هبوط آدم وحواء من الجنة ورحلتهم في الأرض

"اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُم" البقرة: 61 بني إسرائيل

فالهبوط ترك المكان بالانحدار والنزول نحو جهة أخرى.

15. الذهاب:

ذهب (فَعَلَ) يذهب بمعنى يسير ويمضي، واذهب (إفعل): فعل أمر بمعنى امض وسر:" اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى " طه: 24" اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ "طه: 42، " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ طه: 43"، " فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا" المائدة: 24 ، ومنه ذاهب اسم فاعل بمعنى متوجه ومهاجر:" وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ " الصافات: 99.

فالذهاب ترك المكان بتكليف لأداء مهمة معينة.

16. المجيء:

جاء (فَعَلَ) أتى من الإتيان:"وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ" يوسف: 19، "فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ " يوسف: 50، "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ" يوسف: 58" فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ " يوسف: 96 "وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ"يوسف: 100 .

فالمجيء الإقبال والإتيان من مكان لمكان.

17. الانطلاق:

طلق ومنه انطلق (انفعل) مضى وذهب، ومنه قوله تعالى:"فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ " الكهف:71، "فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ" الكهف: 74، "فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ" الكهف: 77

ا18. الفصل:

فصل (فعل) بمعنى خرج وفارق، ومنه قوله تعالى: " فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ " البقرة: 249 ، وقوله تعالى: "وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ" يوسف: 94

19. الجهاد:

جاهد (فَعَلَ) بمعنى خرج وقاتل في سبيل الله : " وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ "التوبة: 19،



"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ "التوبة : 38 ,

"انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ" التوبة: 41، "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ" الحج: 78،

"وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " الصف: 11، فالجهاد ترك للمكان بغرض القتال في سبيل الله.

20. النَفْر:

نفر(فَعَلَ) بمعنى خرج من بيته للجهاد أو طلب الرزق أو طلب العلم: "انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا" التوبة:41،

وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ" التوبة: 81

" وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ"التوبة: 122

فالنفر ترك المكان بالخروج للجهاد أو طلب العلم أو طلب الرزق.

21.السفر:

سَفَرَ (فَعَلَ)،ومنها أسفار أفعال جمع سَفَر بمعنى قطع المسافات: "رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ" سبأ: 19

ومنها السفر مصدر فعل بمعنى قطع المسافة "لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا " الكهف: 62

من هنا يتضح لنا المعنى العام للرحلة التي هي تنقل وحركة بين أماكن مختلفة لفائدة مرجوة وبين غيرها من المفردات التى تقاربها في المعنى .

22. الإتيان:

أتى (فَعَلَ) ومنه المضارع يأتيبمعنى يجيء ويحضر:" وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" الحج: 27[3]

---

[3] عمر، أحمد مختار: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1421هـ ، بحسب مادة المفردة.



الفصل الثاني: الرحلة في السياق القرآني والصور التطبيقية لها.

المطلب الأول: الرحلة في السياق القرآني.

المبحث الأول: مواضع ورود مادة (رَحَلَ) في القرآن الكريم.

وردت مادة (رَحَلَ) في القرآن الكريم بمعناها العام في ثلاثة مواضع :

أ. في سورة يوسف : "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ " 70، و(رَحْل) هنا اسم ذات (فَعْل) وعاء يضع فيه المسافر زاده ومتاعه .

ب. في سورة يوسف: "اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ" 62، و(رِحَال) اسم ذات لفظ جمع (فِعَال)، جمع (رَحْل) للوعاء الذي يضع فيه المسافر زاده ومتاعه.

ت. في سورة قريش : " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ "1-2 و(رِحْلَة) اسم مرة (فِعْلَة) تعني السفرة والتنقل، وهو الموضع الوحيد الذي أشار فيه القرآن بوضوح للفظ الرحلة، مع اقتران اللفظ بكلمة (إِيلَافِ)، وهي مصدر (إِفْعَال)وآلف الشيء إيلافا أحبّه، وتعود عليه وأنس به، فهي بمعنى التعود. (4)

هاتان الرحلتان هما رحلة تجارة وميرة كانت قريش تجهزهما في هذين الفصلين كل سنة أولاهما شتاء إلى بلاد الحبشة ثم اليمن يبلغون بها بلاد حمير، وأخراهما صيفا إلى الشام يبلغون بها مدينة بصرى من بلاد الشام، وكان أول من سن الرحلتين هاشم بن عبد مناف، وإنّ منة إيلافهم رحلتي الشتاء والصيف، هي المنة التي يذكرهم الله بها، وإذا كانوا يعرفون أن هذا كله بفضل رب هذا البيت، فلم يتوسلون إليه بتعظيم غيره. (5)

المبحث الثاني: أنواع الرحلة في السياق القرآني مقترنة بجانب تطبيقي.

أولا: الرحلة الروحية:

أ. **رحلة الإنسان قبل الخلق:** من العدم إلى الوجود كانت رحلة آدم الأولى:" إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ

---

(4) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته بحسب مادة المفردة.

(5) قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق ، بيروت، ط17 ، 1412 هـ ج5/ 163



اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " آل عمران: 59، وكانت كذلك رحلة ذرية آدم في عالم الملكوت لإثبات الوحدانية:" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" الأعراف : 172، "أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا" مريم: 67.

ب. **بعد الخلق من رحم أمه إلى الدنيا:** وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" المؤمنون: 12-14

ت. **رحلة الخروج من الحياة الدنيا:** تمثلها الإشارات القرآنية المتعددة في هذا الجانب، خاصة ما ورد في سورة ق: 19- 25، وسورة الواقعة : 83-93، سورة القيامة: 24-30 .

ثانيا: الرحلة الواقعية:

حثّنا الله تعالى على الارتحال، يقول المولى عز وجل :"قُلْ سِيْرُوْا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ" العنكبوت:20 ، ويقول سبحانه وتعالى : " فَسِيْرُوْا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِيْنَ " آل عمران: 138، ويقول سبحانه وتعالى : " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُوْرُ "الملك:15.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى جعلنا شعوباً وقبائل لنتعارف، فإنّ هذا التعارف يكون بالرحلة و بالانتقال من مكان لمكان يلتقي الناس بعضهم بعضًا .

المطلب الثاني: دوافع الرحلة في القرآن الكريم.

المبحث الأول : الرحلة الدينية.

تمثلها رحلة الإسراء والمعراج للرسول صلى الله عليه وسلم، والهجرة، والحج، ورحلة الأنبياء والرسل عليهم السلام في تبليغ الرسالات السماوية.

أ. **رحلة الإسراء والمعراج** : في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بعام واحد، ولقد أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ



لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " الإسراء : 1، وتعد معجزة الإسراء والمعراج آية من آيات الله تعالى أكرم الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلّم.(6)

والإسراء: هي تلك الرحلة الأرضية الذي تمَّ بقدرة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، "يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره (الذي أسرى بعبده) يعني محمدا ، صلوات الله وسلامه عليه (ليلا) أي في جنح الليل (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء، معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جمعوا له هنالك كلهم ، فأمهم في محلتهم ، ودارهم ، فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ." (7)

وأما المعراج: فهو الرحلة السماوية والارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدرة المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام، يقول تعالى: " وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى* لَقَدْ رَأَى مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى" النجم: 13-،18 وقد حدثت هاتان الرحلتان في ليلة واحدة.(8)

ب. **الهجرة النبوية**: هي حدث تاريخي، وذكرى ذات مكانة عند المسلمين، ويقصد بها هجرة النبي

---

(6) النبهاني، يوسف: الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1992، ص49-51.

(7) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير ابن كثير، دار طيبة ، ط3 ، 2002م ، ج5/ ص5-6

(8) المصدر نفسه ، ج6/ ص62

(9) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت،1990 م،ج3/ 235

(10) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري : السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط 1990، ج2، ص266-269.



محمد وأصحابه من مكة إلى يثرب والتي سُميت بعد ذلك بالمدينة المنورة؛ (9) بسبب ما كانوا يلاقونه من إيذاء من زعماء قريش، خاصة بعد وفاة أبي طالب،(10) وكانت في عام 1هـ، الموافق. 622م، وأيدها الله تعالى بقوله: "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " التوبة: 40.

ت. حجة الوداع:

حجة الوداع هي أول وآخر حجة حجها رسول الله محمد بعد فتح مكة، وخطب فيها خطبة الوداع

التي تضمنت قيمًا دينية وأخلاقية عدة سميت حجة الوداع بهذا الاسم لأن النبي ودع الناس فيها، وعلمهم في خطبته فيها أمر دينهم، وأوصاهم بتبليغ الشرع فيها إلى من غاب عنها(11)، ففي الخامس من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة أعلن رسول الله عن عزمه زيارة بيت الله الحرام حاجا، فخرج

معه حوالي مئة ألف من المسلمين من الرجال والنساء، وقد استعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي الأنصاري، وأحرم للحج ثم لبّى قائلاً : "لبيكَ اللهم لبيك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك، والملك، لاشريك لك "(12)، وبقي ملبياً حتى دخل مكة المكرمة، وطاف بعدها بالبيت سبعة أشواط واستلم الحجر الأسود وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم، ثم سعى بين الصفا والمروة، وفي اليوم الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى فبات فيها، وفي اليوم التاسع توجه إلى عرفة فصلى فيها الظهر والعصر جمع تقديم في وقت الظهر، ثم خطب خطبته التي سميت فيما بعد خُطبة الوداع. وبعد غروب شمس يوم عرفة نزل رسول الله ، والمسلمون إلى مزدلفة وصلى

---

(11) البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، ط2006، ص100-101

(12) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 2002 م، كتاب الحج، باب التلبية، ص472



المغرب والعشاء فيها جمع تأخير، ثم نزل إلى منى وأتم مناسك الحج من رمي الجمار والنحر والحلق وطواف الإفاضة، وعندما كان الصحابة يسألون الرسول محمد عن بعض أعمال الحج مثل الترتيب بين الرمي والحلق والتحلل وغيرها، لا يجدون منه إلا التيسير عليهم، وهو يقول لهم: افعلوا ولا حرج. وقد قدم النبي محمد في مكة المكرمة بعد الانتهاء من مناسك الحج عشرة أيام، ثم عاد إلى المدينة المنورة.[13]

ث. رحلة الرسل والأنبياء والصالحين:

كانت رحلة الأنبياء والرسل والصالحين وتنقلاتهم لها طرائق متعددة تبعا لما لازمها من ظروف وأحداث، إما بالهجرة كما فعل إبراهيم ولوط عليهما السلام، أو الإخراج كما فعل الكفار بمعظم الرسل والأنبياء ومنهم رسولنا الكريم، أو الخروج مثلما فعل موسى عليه السلام عندما خرج خائفا من فرعون إلى مدين، وغير ذلك.

فالكفار فى كلّ عصر يهددون الرسل بالطرد والإخراج والنفى إذا لم يعودوا إلى ملة الكفر, قال تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا "إبراهيم : 13، " قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا " الأعراف :88.

وهنا نأتي ببعض النماذج التطبيقية لهذه التنقلات على سبيل التمثيل لا الحصر:

- رحلة آدم عليه السلام:

إن الرحلة هي قدر الإنسان،فمن العدم إلى الوجود كانت رحلة آدم الأولى: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ" ص: 71 ، ومن الجنة إلى الأرض كانت رحلة آدم وحواء الأولى: " قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" الأعراف: 24، ومنذ ذلك التاريخ السحيق لم تتوقف رحلات البشر.

- رحلة نوح عليه السلام في السفينة:

بدأ الإعداد لهذه الرحلة البحرية منذ أن أمر الله تعالى نوح عليه السلام بصنع السفية إلى ركبوها ، وحتى استوائها على الجودي هود: 40-44، "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ* وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ".

[13] المصدر نفسه ص 473



"أي : السفينة سائرة بهم على وجه الماء ، الذي قد طبق جميع الأرض ، حتى طفت على رءوس الجبال وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعا ، وقيل : بثمانين ميلا وهذه السفينة على وجه الماء سائرة بإذن الله" (14)

- رحلة إبراهيم عليه السلام:

هاجر إبراهيم عليه السلام من بابل إلى دمشق إلى فلسطين إلى مصر إلى فلسطين مرة أخرى ثم مكة ثم فلسطين:" فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " العنكبوت : 26، "عن ابن عباس قال : والصحيح أنه ولد ببابل ، وإنما نسب إليه هذا المقام ؛ لأنه صلى فيه إذ جاء معينا للوط عليه السلام . قالوا : فتزوج إبراهيم سارة ، وناحور ملكا ابنة هاران ، يعنون بابنة أخيه . قالوا : وكانت سارة عاقرا لا تلد . قالوا : وانطلق تارخ بابنه إبراهيم ، وامرأته سارة ، وابن أخيه لوط بن هاران ، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين ، فنزلوا حران ، فمات فيها تارخ وله مائتان وخمسون سنة . وهذا يدل على أنه لم يولد بحران ، وإنما مولده بأرض الكلدانيين ، وهي أرض بابل وما والاها . ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين ، وهي بلاد بيت المقدس فأقاموا بحران ، وهي أرض الكشدانيين في ذلك الزمان ، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضا.(15)

(فَآمنَ لهُ لوُطٌ وَقَالَ إنِّي مُهاجرٌ إلى رَبي إنَّهُ هُوَ العزيزُ الحِكيُم وَوَهَبنَا لهُ إسحَق ويعقُوبَ وجَعَلنَا في ذُريتَّه النُّبَّوةَ وَالكتاَبَ وآتينَاهُ أَجرهُ في الدُّنياَ وإنَّهُ في الآخَرةِ لِمنَ الصَّلحِين) العنكبوت: 26-27.

"وأمر الله ـ عز وجل ـ إبراهيم أن يأخذ زوجته هاجر وولدها إسماعيل ويهاجر بهما إلى مكة , فأخذهما إبراهيم إلى هناك, وتوجه إلى الله داعياً (رَّبَّنا أنِّي أسكنتُ من ذُرِّيّتي بَوادٍ غَير ذي زَرعٍ عِند بيتِك المحرَّمِ ربنَّا ليُقيمُوا الصَّلاةَ فاجعَل أَفئدةً من النَّاسِ تَهوِي أليهِم وارزُقهُم منَ الثَمَرات لَعَلّهُم يَشكُرونَ) إبراهيم: 37."(16)

- رحلة لوط عليه السلام:

---

(14) تفسير ابن كثير : ج4 ص323

(15) المصدر نفسه : ج1/ ص: 326

(16) تفسير ابن كثير: ج1/ ص: 327



"ولما أرادَ سيّدُنا إبراهيمُ الهِجرةَ من أرضِ بابلَ قَرّرَ لوطٌ أيضاً أن يُهاجِرَ معه وهكذا تَرَكَ لوطٌ بلَدهُ وهاجَر.. ولما وصَلَت القافلةُ إلى أرضِ سَدُوم(وسَدُومُ مجموعةُ قُرى على شاطئ البحرِ الميّتِ في الأُردنّ

أمرَ سيّدُنا إبراهيمُ لوطاً أن يَسكُنَ في تلك القُرى، ويَدعو أهلَها إلى عبادةِ الله ونَبْذِ الأصنام."[17]

- رحلة موسى عليه السلام:

ا. خروج موسى إلى قوم مدين خوفا من فرعون:

حاول موسى دعوة فرعون للتوحيد, لكن فرعون أبى واستكبر وهدده بالعذاب:" وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ , وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ" الدخان: 20

"فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ" سورة القصص : 21-22، وعندما وصل ماء مدين وجد ابنتي شعيب، ثم دعاه ليعطيه أجر ما سقى لابنتيه، ثم زوجه باحدى ابنتيه" وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ* وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" القصص: 22-28، وبعد انقضاء الأجل خرج بأهله : لَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" القصص: 29-30 .

ب. موسى يخرج من مدين إلى الوادي المقدس طوى:

---

[17] المصدر نفسه: ج1 ص350



سار موسى عليه السلام بأهله من ديار مدين إلى الوادي المقدس طوى :" وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى" طه: 9-12.

ت. موسى ورحلة البحر هربا من فرعون:

أمر الله تبارك وتعالى موسى عليه السلام بالذهاب لفرعون:" اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى: طه: 24، ثم أمره وأخيه هارون بالذهاب لدعوته من جديد للتوحيد" اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" طه: 42-43، فكان ما كان من تعنته ولحاقه بموسى وبني إسرائيل لقتلهم، فكانت رحلة موسى وقومه عبر البحر الذي انشق لفرقين" فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ* فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ* قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" الشعراء : 60-63، "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" يونس: 90

حتى جاوزه للجانب الآخر فوجد قوما يعبدون الأصنام "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ "الأعراف : 138 ، ثم كانت رحلته للموعد ثم عودته لقومه غاضبا لاتخاذهم العجل:" وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ

انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" الأعراف 142-143، "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" الأعراف 150

- رحلة بني اسرائيل ومرورهم بالنهر في طريق بيت المقدس:

"فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ*



وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ* فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" سورة البقرة 249-251

"يقول تعالى مخبرا عن طالوت ملك بني إسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل وكان جيشه يومئذ فيما ذكره السدي ثمانين ألفا فالله أعلم ، أنه قال : (إن الله مبتليكم [بنهر]) قال ابن عباس وغيره : وهو نهر بين الأردن وفلسطين يعني : نهر الشريعة المشهور (فمن شرب منه فليس مني) أي : فلا يصحبني اليوم في هذا الوجه (ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده) أي : فلا بأس عليه قال الله تعالى (فشربوا منه إلا قليلا منهم) قال ابن جريج : قال ابن عباس : من اغترف منه بيده روي ، ومن شرب منه لم يرو . وكذا رواه السدي عن أبي مالك ، عن ابن عباس . وكذا قال قتادة وابن شوذب ."[18]

- رحلة سليمان عليه السلام :

كان لسليمان عليه السلام رحلة جوية، إذ تحمله الريح، ورحلة أرضية، كمثل رحلته عندما وصل إلى وادي النمل، "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ* يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ "سبأ: 12-13

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود ، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان ، من تسخير الريح له تحمل بساطه ، غدوها شهر ورواحها شهر .

قال الحسن البصري : كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغذى بها، ويذهب رائحا

من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) أَيْ : وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ، وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ : الرِّيحُ بِالرَّفْعِ أَيْ : لَهُ تَسْخِيرُ الرِّيحِ

(18) تفسير ابن كثير: 3/ 249



(غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) أَيْ : سَيْرُ غُدُوِّ تِلْكَ الرِّيحِ الْمُسَخَّرَةِ لَهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَسَيْرُ رَوَاحِهَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَكَانَتْ تَسِيرُ بِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَسِيرَةَ شَهْرَيْنِ(19)

المبحث الثاني: رحلة التعليم والتعلم.

تمثلها رحلة موسى عليه السلام مع الخضر : "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا* فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا*فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا" الكهف:60-62

"فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"الكهف : 65-66

المبحث الثالث: الرحلة التجارية.

تمثلها رحلة قريش قي الشتاء والصيف: في سورة قريش : " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ "1-2 قريش، و(رِحْلَة) اسم مرة (فِعْلَة) تعني السفرة والتنقل، وهو الموضع الوحيد الذي أشار بوضوح للفظ الرحلة، مع اقتران اللفظ بكلمة (إِيلَافِ)، وهي مصدر (إِفْعَال)وآلف الشيء إيلافا أحبّه، وتعود عليه وأنس به، فهي بمعنى التعود.

المبحث الرابع: الرحلة السياسية .

تمثلها رحلة رسل بلقيس يحملون الهدية لسليمان عليه السلام: "وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ* فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ* ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ" النّمل: 35-37

وتمثلها أيضا رحلة بلقيس لسليمان:" فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ" النمل:42

المبحث الخامس: رحلة الاستكشاف.

(19) تفسير ابن كثير 6/ 499



تمثلها رحلة ذي القرنين في مشرق الأرض ومغربها، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا* فَأَتْبَعَ سَبَبًا* حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا" الكهف: 84-86

" حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا " الكهف: 90

" حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا " الكهف: 93

الفصل الثالث: أحوال الرحلة وأثرها.

المطلب الأول : المدّ الغيبي للرحلة.

هناك رحلات في القرآن الكريم كانت بمدّ غيبي من الله جلّ وعلا ، وقد أثبت النص القرآني ذلك :

المبحث الأول: رحلة نوح عليه السلام في السفينة:" وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" هود 41، ("إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية" الحاقة: 11، "وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر " القمر : 13 – 15

فهذه الآيات الكريمة تدل على عون الله ومدده للمرتحل.

المبحث الثاني: رحلة موسى عليه السلام عند انشقاق البحر : "قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ" الشعراء: 62-63

فهذه الآيات الكريمة تدل على معية الله وهدايته للمرتحل.

المبحث الثالث: رحلة ذي القرنين في المشرق والمغرب: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا" الكهف: 84

فهذه الآيات الكريمة تدل على مدد الله ومعيته للمرتحل.

المبحث الرابع : رحلة يونس عليه السلام في بطن الحوت:"لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ"القلم 49

فهذه الآيات الكريمة تدل على رحمة الله وتوبته عن خطأ المرتحل.

المبحث الخامس: رحلة سليمان عليه السلام:"فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ"ص: 36



فهذه الآيات الكريمة تدل على مدد الله ومعيته للمرتحل.

المبحث السادس: رحلة الإسراء والمعراج : "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الإسراء: 1

فهذه الآيات الكريمة تدل على مدد الله وعونه للمرتحل.

المبحث السابع :رحلة الهجرة[20]: ترتب على الهجرة درجات ومراتب للمرتحلين بدء برسول الله صلى الله عليه وسلم "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " التوبة 40.

فهذه الآيات الكريمة تدل على نصرة الله ومعيته للمرتحل.

المطلب الثاني: الرحلة في مرضاة الله و الرحلة في معصيته وأثرهما .

أسس الرسول صلى الله عليه وسلم لنظام التنقل و الحركة بصورة رسمية كعامل مهم في بناء دولته الإسلامية، فكان ابتعاث الصحابة رضي الله عنهم للخارج من أجل تعليم كتاب الله ، وكسفراء لملوك الدول المجاورة ، وكولاة لما يتم فتحه من الأقطار، كان هذا الابتعاث هو الصورة التطبيقية لهذا النظام ، ولقد أثبت نجاحه في توطيد أركان الدولة الإسلامية، وهذا ما تغيب عن ساحتنا بعد أن فقدنا الخلافة ، وأصبحنا تابعين وليس متبوعين.

المبحث الأول: الرحلة في طاعة الله، ومنها : الهجرة لتبليغ دين الله ، والجهاد في سبيل الله، طلب الرزق، الحج" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" البقرة : 218

المبحث الثاني: الرحلة في معصية الله:

أ. هبوط بني إسرائيل لإنكارهم نعم الله عليهم : " وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ

---

[20] الأنصاري، عبد القدوس: طريق الهجرة النبوية، مطابع الروضة، جدة ، ط1، 1978م ، ص110-112.



بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" البقرة: 61، كانت نتيجة الرحلة غضب الله عليهم.

ب. رحلة يونس في السفينة ثم التقام الحوت ليونس ونبذه بالعراء: وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ* فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ* فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ* وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ* وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ"الصافات: 139–147، "فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" القلم 48–49، "وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ الأنبياء87

ت. تمزيق الله لقوم سبأ لبطرهم على نعم الله: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ "سبأ: 15–17

المطلب الثالث: أثر الرحلة في واقع الأمة الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية.

المبحث الأول: أثر الرحلة في واقع الأمة الإسلامية.

كانت الرحلة بأنواعها وأغراضها المختلفة وفي مقدمتها رحلة الهجرة النبوية الشريفة ورحلات الرسل نصراً للإسلام والمسلمين، إذ ثبّتت الرحلة دين الله في الأرض، وعملت على انتشاره.

وشكلت الرحلة تحول في تاريخ الدعوة الإسلامية . ذلك أن المسلمين بقيادة أنبيائهم هاجروا في أرض الله الواسعة؛ ليبدأوا منها الجهاد والتعبئة والتنظيم والإدارة والبناء المادي والعقلي.

المبحث الثاني: دور الرحلة في خدمة الإنسانية.

عملت الرحلة على ربط بقاع الأرض المختلفة ربطا علميا من خلال تنقل العلماء بين المشرق والمغرب، وثقافيا بتعارف المرتحلين على ثقافات وطبائع الشعوب التي ارتحلوا إليها، وسياسيا ببسط الإسلام أجنحته على بقاع الأرض المختلفة ونشر دين الله وتعاليم الإسلام، واجتماعيا سواء من خلال مبدأ التآخي أو المصاهرة و النسب،



واقتصاديا بتحسين الوضع الاقتصادي للبقاع المختلفة سواء في حال الفقر أو المرض أو المجاملات، وحضاريا بنشر الإبداع الحضاري لأمة الإسلام في بقاع الأرض المختلفة سواء في الهندسة أو المعمار أو الخط أو الزخارف.

الخاتمة

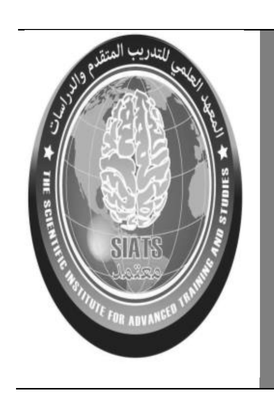
- الرحلة في القرآن الكريم أظهرت أن الأمة الإسلامية قد عرفت الرحلة بأنواعها من برّ كرحلة رسولنا الكريم وباقي الأنبياء، وبحر كرحلة نوح ويونس عليهما السلام وجو كرحلة سليمان عليه السلام، وفضاء كالإسراء والمعراج، وهذا يجعل أمة الإسلام رائدة في هذا المجال.
- الرحلة لها دور وقيمة بالغة في حياة الإنسان المسلم بخاصة وحياة الإنسانية بصورة عامة، فلقد كانت الرحلة عاملا إيجابيا في تبليغ الرسالات السماوية، وفي حفظ أصحابها وتأمين حياتهم إذا لازمت الطاعة، وكانت عامل عقاب وغضب إذا كانت في معصية.
- الرحلة مفردة لها دلالة مباشرة على التنقل والسير والارتحال، ولها دلالة على معنى مقارب لها بألفاظ وردت في النص القرآني.
- حياة الإنسان رحلة مستمرة حتى تطأ أقدامه الجنة أو النار، وهذا مرده إلى أن الإنسان خلق ليكون خليفة لله في الأرض.
- ركّز النص القرآني على حال الارتحال والتنقل والتغيير الذي يلازم حيوات البشر بصورة تطبيقية؛ لأخذ الدروس والعبر.
- كان للرحلة أثر كبير في بناء الأمة الإسلامية الأولى في تاريخ البشرية من آدم عليه السلام، ثم إبراهيم عليه السلام، إلى سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، ومن احتذى بنهجه، فكانت العزة والقوة والثبات لمن كان على هداه، وكان التمزق والزوال والفناء للعصاة.



المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت،1990 م
3. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير ابن كثير، دار طيبة ، ط3 ، 2002م
4. ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط2، 1973 م.
5. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري : السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط 1990م .
6. الأنصاري، عبد القدوس: طريق الهجرة النبوية، مطابع الروضة، جدة ، ط1، 1978م.
7. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 2002م.
8. البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، ط، 2006م.
9. عمر، أحمد مختار: علم الدلالة ، دار العروبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1982م.
10. عمر، أحمد مختار: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1421هـ ، بحسب مادة المفردة.
11. قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق ، بيروت، ط17 ، 1412.
12. النبهاني، يوسف: الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، المطبعة الأدبية، بيروت، ط19921.





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 1،كانون الثاني ،يناير 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

THE TRUTH OF FAITH IN IMAM AL - DAMAMINI IN THE LAMPS OF THE MOSQUE

حقيقة الإيمان عند الإمام الدماميني في مصابيح الجامع شرح صحيح البخاري

Ahmed Qasim Najm Al-Mashhadani

Associate professor Dr: Mazlan bin Ibrahim

Dr. Indriaty Ismail Dr.Zulazmi bin Yaakob

Department of Theology and Philosophy Universiti Kebangsaan Malaysia

abuhomam6@gmail.com

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 2/10/2016
Received in revised form 3/11/2016
Accepted 5/12/2016
Available online 15/1/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The correct and upright faith is the basis of Islam. A person is considered a Muslim if he/she follows the correct faith of Islam, the acceptance and the rejection of person efforts is also based on the correct and upright faith, and correct and upright faith leads to the right way of life. Therefore, Islamic scholars have had different views and thoughts on the concept of truth of faith. Some scholars' views agreed with the methodology of the Ahlus Sunnah Wal Jamaah, whereas other scholars' views agreed with other methodologies. One of these scholars is Al- Damāmīnī who has a views and thoughts on truth of the faith that he presented in his book Maṣābīḥ al-Jāmi' : wa-huwa sharḥ al-Jāmi' al-ṣaḥīḥ lil-Imām al-Bukhārī. Al-ṣaḥīḥ lil-Imām al-Bukhārī is considered one of the most authentic collections of the Sunnah of the Prophet Muhammad Peace be upon him. This study aims to investigate the scientific biography of Imam Al-Damāmīnī, the words of scholars in the concept of faith, as well as the words of Al- Damāmīnī toward aspects of faith that the scholars disagree on. The study applied the inductive method through tracing the texts on the subject of faith, and the descriptive analysis method on the extrapolated texts. This study concluded that based on the Imam Al- Damāmīnī Scientific biography, he is one of the prominent scholars of Ahlus Sunnah Wal Jamaah, scholars have different and varied views and thoughts on the concept of faith in which some views agree with Ahlus Sunnah Wal Jamaah and some views do not and the Imam Al- Damāmīnī views and thoughts in the concept of faith is similar to scholars of Ahlus Sunnah Wal Jamaah.



الملخص

تكمن مشكلة الموضوع أن العقيدة الإسلامية الصحيحة، هي أساس الدين، وهي التي يتوقف عليها إسلام المرء من عدمه، والتي يتوقف عليها صحة قبول الأعمال، وهي التي يبنى عليها جميع المعارف، لذا اختلفت آراء العلماء في حقيقة الإيمان، فمنهم من وافقت آراءه في حقيقة الإيمان منهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من وافقت آراءه الفرق الأخرى، ومن هؤلاء العلماء هو الإمام الدماميني، فقد كانت له آراء في حقيقة الإيمان والتي بينها في كتابه مصابيح الجامع شرح صحيح البخاري، وهو أصح كتاب بعد القرآن الكريم، وهذ الأمر يستلزم دراسة السيرة العلمية للإمام الدماميني وأقوال العلماء في تعريف الإيمان، وأقوال الدماميني في مسائل الإيمان التي اختلفت فيها الآراء. وقد استخدمت الدراسة منهج استقراء النصوص التي تناولت موضوع الإيمان، والمنهج الوصفي التحليلي لهذه النصوص التي تم استقراءها. وتوصلت الدراسة إلى أن الإمام الدماميني هو أحد العلماء البارزين من أهل السنة والجماعة من خلال سيرته العلمية، وأن العلماء لهم آراءه مختلفة ومتباينة في مسائل الإيمان منها موافقة لأهل السنة والجماعة ومنها غير ذلك، وأن آراء الدماميني في مسائل الإيمان موافقة لأقوال علماء أهل السنة والجماعة.



مقدمة:

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُ بهِ، ونستهديه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام علي سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغُر الميامين، وعن التابعين ومن صار علي دربهم إلي يوم الدين وبعد:

إن علم العقيدة والحديث الشريف يُعتبر من أعظم العلوم الشرعية ؛ لآنها مُستمدة من القرآن الكريم أولاً، ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم المطهرة، وهو الأصل الثاني في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولقد أكد القرآن الكريم في آيات مكانة السنة النبوية ودورها بعد القرآن الكريم ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: {وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[1].

يهدف هذا البحث إلي دراسة مباحث الإيمان؛ عند الإمام العلامة الدماميني رحمه الله تعالي عن الإيمان في كتابه مصابيح الجامع في شرح صحيح البخاري، كما سيتطرق الباحث لمعرفة ما معني الإيمان لغةً واصطلاحًا وسوف يتناول المبحث الثاني بشيء من التفصيل والايضاح والإفهام موضوع زيادة الإيمان ونقصانه والذي وقع فيه اختلاف كبير بين بعض علماء المسلمين؛ وبين بعض الفرق الإسلامية؛ أما المبحث الثالث في هذا الباب يُعني بدراسة وفهم الإسلام والإيمان؛ لأن الإيمان من صلب العقيدة، والتي تعتبر من أصول الدين، ولأن الدين أصول وفروع، فإن العقيدة أخطر وأهم شيء في الدين، وإذا صحت عقيدة الإنسان المسلم فقد صح عمله، وإذا فسدت عقيدته فسد عملهُ، وهناك توجد علاقة تراجيدية ووطيدة ووثيقة، ومتلازمة بين العقيدة والسلوك, فمن صحت عقيدتهُ صح إسلامه وإيمانه وصح سلوكُه وحسُنت أخلاقهُ، نسأل الله عز وجل أن يهدينا سُبل السلام وينير طريقنا بنور الإيمان به وأن يجعل حياتنا كلها لله عز وجل. تنبع أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله والذي يعتبر في صلب العقيدة وأساس راسخ يميز بين المسلم والكافر، ألا وهو باب الإيمان، في أصح الكتب بعد القرآن الكريم، من كتب الحديث الشريف وهو كتاب صحيح الإمام البخاري، والذي تناوله وشرح عنه العلامة القاضي الإمام الدماميني؛ حيث كان الإمام البخاري له النصيب الأكبر من هذا العلم، وكتابه الجامع الصحيح أصح ما جمع وكتب، باتفاق العلماء، وهو أصح كتاب بعد

[1] القرآن الكريم: سورة الحشر,7.



القرآن الكريم، ويتناول الباب الأول من المجلد الأول بيان وشرح باب الإيمان في كتاب مصابيح الجامع علي شرح صحيح البخاري وبيان بعض المسائل الفقهية والعقدية واللغوية وغيرها في باب الإيمان، وسوف نبدأ بتناول نبذة عن الإمام الدماميني رحمه الله.

المبحث الأول: نبذة عن حياة العلامة الدماميني وعصره

الإمام الدماميني هو: العلّامة، المتفنن، الفقيه، الأديب، الشاعر، النحْوي، اللغوي، القاضي محمّد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر محمّد بن سليمان ابن جعفر بن يحيى بن حسين بن محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن علي بن صالح بن إبراهيم ، بدر الدين المخزومي، السَّكندري، المالكي، المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني، سبط الإمام ناصر الدين بن المنيِّر[2].

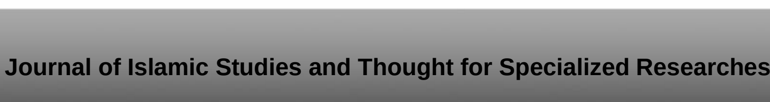
ولد الإمام الدماميني سنة ثلاث وستين وسبع مئة بالإسكندرية، وسمع بها من عم أبيه الشّيخ عبد الله بن أبي بكر المعروف بالبهاء بن الدماميني، وعبد الوهّاب القروي، وغيرهما، فمهر في العربيّة والأدب، وشارك في الفقه وغيره؛ لسرعة إدراكه، وقوة حافظته، ودرس بالإسكندرية في عدة مدارس، واستنابة صهره القاضي ناصر الدين بن التنسي في الحكم بها ، ومن شيوخه، شيخ الإسلام، جلال الدين البُلقيني، والمؤرخ، ابن خلدون، شيخ الإسلام، سراج الدين بن الملقِّن، وشيخ الإسلام بالمغرب ابن عرفة.

هو الإمام المحقق، والنحوي المدقق، القاضي بدر الدين الدماميني المتوفي سنة (827هـ)، من أولئك الأئمة الذين خاضوا غمار هذا الصحيح وولجوا أغواره، مبرزين درره وثماره ، سالكاً فيه مسلك الاختصار، مؤثرا التعليق والإيجاز في الحديث على البسط والإكثار ، علق فيه على أكثر من ثلاثة آلاف حديث من الصحيح بعبارة حسنة وقول فصيح اشتملت على بيان لفظ غريب، وإعراب مشكل، وضبط راوٍ يخشى في لفظ ورسم اسمه التحريف، وفي ضبطه التصحيف ، وبيان الأعلام المبهمة ، الى غير ذلك من المباحث اللغوية والنحوية الأنيقة والتحقيقات الفقهية والأصولية الدقيقة[3]؛ ومن

---

[2] السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 7: 184.

[3] مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، 2009م، 1 : 7.



تصانيفه: " تحفة الغريب": في النحو، وهو حاشية على "مغني اللبيب" لابن هشام الأنصاري ، و"تعليق الفوائد على تسهيل الفوائد" لابن مالك، و جواهر البحور"، وهي قصيدة في العروض، و"العيون الغامزة على خبايا الرامزة"، وهو شرح القصيدة الخزرجية المعروفة بالرامزة، و"مصابيح الجامع" وغيرها؛؛؛ توفي الإمام بدر الدين الدماميني – رحمه الله تعالى، بمدينة "كَلبرجَا" أو "كَلبركَا" في الهند في شهر شعبان عن نحو سبعين عامًا، سنة (827 هـ) [4].

المبحث الثاني: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحًا

يتناول هذا المبحث مفهوم معني الإيمان لغةً واصطلاحًا من خلال استعراض أفضل, ما قيل في هذا الموضع، مدعمين كلامنا بالأدلة الشرعية من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، وبالأدلة العقلية والنقلية كذلك، وبما قاله الصحابة الكرام والتابعين الفضلاء، وبما صدر عن ثُلةٌ من العلماء المتقدمين الأولين، وثُلةٌ من العلماء المتأخرين؛ وأصح وأفضل الأقوال في تعريف أصول ومفهوم الإيمان؛ وما قاله الإمام الدماميني في شرح الصحيح للبخاري في كتابه المصابيح باب الإيمان .

الإيمان لُغةً: من كلمة إِيمَان: وهي (اسم) وإِيمَان : مصدر آمَن؛ يومنُ إيمانًا و مصدر أَيمَنَ إيمان: وآمَنَ، دَخَلَ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ : الاعْتِقَادُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، قال تعالي: (الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإِيمانَ) ([5])، أي لاَ شَيْءَ يُزَعْزِعُ إِيمَانَهُ والإيمانُ بمعني: التَّصدِيق، وأيمَنَ يُومن، إيمانًا، فهو مُومِن، آمَنْتُ، أُؤْمِنُ، آمِنْ، مصدر إِيمَانٌ فهو مُؤمِن، والمفعول مُؤمَن، آمَن إيمَاناً : صَار ذا أَمْن، وآمَنَ بِهِ : وَثِقَ بِهِ وَصَدَّقَهُ آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، آمَنَ لَهُ : نْقَادَ لَهُ وأَطَاعَهُ([6]). آمن بالله: أسلم له وانقاد وأذعن؛ ويري الباحث من خلال الدراسة والتمحيص والبحث أن الإيمان لهُ عّدِة تعريفات: فقيل: هو التصديق، وقيل: هو الثقة، وقيل: هو الطمأنينة، وقيل: هو قولٌ وإقرارٌ باللسان والايمان بالجنان، أي بالقلب، وتطبيق ذلك بعمل الصالحات؛ وأن منبع كلمة الإيمان تُشتق من لفظ الجلالة من أسماء الله عز وجل الحسني (المؤمن): ومنها يشتق معني الأمن، فمن آمن فقد أمِن واطمأن؛ يعني ليس من طريق إلى أن تكون آمناً, مطمئناً, متوازناً, راضياً, ذاكراً لقول الله عز

[4] الدماميني، *مصابيح الجامع*، 1: 7.

[5] القرآن الكريم: (سورة الروم: آية 56).

[6] المعجم الوسيط: " المؤلف: مجمع اللغة العربية: الناشر: مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: 2004، عدد المجلدات: 4، رقم الطبعة: الأولي: المجلد : الثاني، ص:72 .



وجل،:﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (7)، واتَّفق أهلُ العلمِ مِن اللُّغويين وَغيرِهِم : أنَّ الإيمانَ مَعناهُ التَّصديقُ، قَال الله تَعالى: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(8)، وَنَقلَ الإمامُ مُحمَّد بن نَصر المروزيّ عن طائفةٍ مِن أهلِ السُّنةِ :(والإيمانُ في اللغةِ : هوَ التصديقُ ،وَمَعنى التَّصديق : هُوَ المعرفةُ باللهِ والاعترافُ لَهُ بالربوبيةِ بِوَعدهِ ووعيدهِ وَوَاجِبِ حَقِّهِ وَتَحقيقِ مَا صَدَّقَ بِهِ مِن القَولِ والعَمَلِ(9)، وأمَّا الشيخُ الألبانيُّ رحمه الله، لَم يَخرُج في تَعريفِهِ للإيمانِ لُغةً عَن تَعريفِ السَّلف، بَل تَبعَ السَّلَفَ على هذا التَّعريفِ، فَقَالَ:(إنَّ الإيمانَ لغةً بمعنى التصديق، وهذا ما تَدُلُّ عَلَيهِ لُغَةُ القُرآنِ(10).

يقول الإمام العلامة الدماميني رحمه الله في كتابه مصابيح الجامع: وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام علي خمس: قولٌ وفعل، ويزيد وينقص(11)، قال تعالى: (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) (12)، وقد اردف الإمام الدماميني الكثير من الآيات التي تدل علي الإيمان.

والرأي الراجح في تعريف الإيمان من خلال ما يناه آنفاً، ما قاله الإمام البخاري رحمه الله عن الإيمان في كتابهِ صحيح البخاري قائلاً:" كتبتُ الحديث عن ألف، وثمانين رجلاً ما فيهم إلا صاحب حديث كُلهم يقول: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص"(13)، وله في لغة العرب استعمالان: فتارة يتعدى بنفسه فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، وآمنته ضد أخفته، وفي الكتاب العزيز: "الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ"(14)، فالأمن ضد الخوف؛ ثم قال: وَرُوِيَ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ مَوْصُولٍ بِإِسْنَادٍ غَيْرِ قَوِيٍّ أَنَّهُ قَالَ :«إِنَّ مَثَلَ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ؛ مَنْ أَخَذَ بِنَجْمٍ مِنْهَا

---

[7] القرآن الكريم: (سورة الرعد: الآية: 28).

[8] القرآن الكريم: (سورة الحجرات: الآية: 14)..

[9] ينظر : لسان العرب لابن منظور مادة(أمن)23/13 و مادة (سلم) 293/12 –

[10] مجموع الفتاوى لابن تيمية 239/5.

[11] مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86

[12] سورة الفتح: الآية: 4.

[13] صحيح البخاري: " الإمام أبي عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفي سنة: 256هـ،كتاب صحيح الإمام البخاري: طباعة سنة: 2008م، 1429هـ ، ترقيم وترتيب: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم : أحمد محمد شاكر؛ الناشر: مكتبة ألفا للتجارة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، الجيزة، مصر، ص:7.

[14] القرآن الكريم: (سورة قريش:1-4).



اهْتَدَى» وَالَّذِي رُوِّينَاهُ هَا هُنَا مِنَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ والحديث حسن السند صحيح المعنى([15])، وقال ابن الأثير عن الإيمان: (في أسماء الله تعالى المؤمن وهو الذي يصدق عباده وعده فهو من الإيمان التصديق، أو يؤمنهم في القيامة عذابه، فهو من الأمان ضد الخوف)، وتارة يتعدى بالباء أو الكلام فيكون معناه التصديق. وفى التنزيل: وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) ([16])، أي بمصدق، آمنت، أي صدقت. والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة، وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها، وهو منافق؛ وأما قوله عز وجل: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا) ([17])، والمقصود حسب ما يري الباحث أن الأمانة في الآية تعني النية التي يعتمدها الإنسان فيما يظهره باللسان من الإيمان، ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر([18])، لأن الله عز وجل ائتمنه عليها ولم يظهر عليها أحداً من خلقه، فمن أضمر التوحيد والتصديق مثل ما أظهر فقد أدى الأمانة، ومن أضمر التكذيب، وهو مصدق باللسان في الظاهر فقد حمل الأمانة ولم يؤدي حقها، وقوله عز وجل: يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ([19])، وقال ثعلب: يصدق الله ويصدق المؤمنين. ومنه قوله عز وجل: قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ([20])، وقوله تعالي: "أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ" ([21])، ويفهم من الكلام السابق، أن التصديق كما يكون بالقلب واللسان يكون بالجوارح أيضاً، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) ([22])؛ وخُلاصة الحديث أن أكثر أهل العلم يقولون: الإيمان في اللغة هو: التصديق، ولكن الباحث يري أن هذا الأمر فيه توقف للتأمل والبحث! لأن كلمة الإيمان إذا كانت بمعنى الكلمة فإنها تتعدى بتعديها، ومعلوم أن التصديق يتعدى بنفسه، والإيمان لا يتعدى

---

[15] صحيح مسلم: يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، كتاب صحيح الإمام مسلم؛ دار الخير سنة النشر: 1416هـ / 1996م ، رقم الطبعة:2عدد الأجزاء: ستة أجزاء شرح النووي على مسلم، فضائل الصحابة: الحاشية رقم 1- "رقم الحديث: (2531)، ص: 66 ؛ ضعفه الألباني – أخرجه أحمد (398/4 ، رقم 19584) ، ومسلم (1961/4 ، رقم 2531) . وأخرجه أيضًا : البزار (104/8 ، رقم 3102) ، وابن حبان (234/16 ، رقم 7249)قال الإمام النَّووي في "شرح صحيح مسلم" الحديث الشريف: لإمام مسلم رحمه الله في صحيحه(1961/4).

[16] القرآن الكريم: سورة يوسف:17.

[17] القرآن الكريم: سورة الأحزاب:72.

[18] موقع ملتقي أهل الحديث- الشبكة العنكبوتية – الإنترنت – 27 مايو 2016م- 20 شعبان-1437هـ.

[19] القرآن الكريم: (سورة التوبة: 61).

[20] القرآن الكريم: سورة البقرة:136.

[21] القرآن الكريم: (سورة البقرة:75).

[22] صحيح البخاري: فتح الباري شرح صحيح البخاري، حمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، سنة النشر: 1407هـ / 1986م ، ط2، عدد الأجزاء: ثلاثة عشر جزءًا : رقم الحديث: 5889، باب الاستئذان من أجل البصر : الحاشية رقم 1.



بنفسه؛ فنقول مثلاً: صدقته، ولا تقول آمنته! بل تقول: آمنت به، أو آمنت له. فلا يمكن أن نفسر فعلاً لازماً لا يتعدى إلا بحرف الجر بفعل متعد ينصب المفعول به بنفسه، ثم إن كلمة (صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت) فإن (آمنت) تدل على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت)، ولذلك يري الباحث أن المعني الأقرب للمنطق وأفضل تفسير:(الإيمان) أي (الإقرار) ؛ فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بالتصديق، فتقول أقر به، كما تقول: آمن به، وأقر له كما تقول: آمن له)، وهذا أغلب رأي أهل السنة والجماعة، والإقرار قولٌ وعمل، "قول باللسان، وفعل بالجوارح والجنان، فأطلق علي اعتقاد القلب فعلاً، ويزيد وينقص أي الإيمان"([23]).

وفي نهاية ما سبق يتبين أن أقرب معنى في اللغة للإيمان هو: هو الإقرار القلبي: وعادةً ما يكون الإقرار: باعتقاد القلب وعملِهِ: أي تصديقه بالأخبار، أي إذعانه وانقياده للأوامر. أقر أي صدق، والصديق بوزن السكيت: الدائم التصديق، ويكون الذي يصدق قوله بالعمل؛ لأن الله عز وجل يقول:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾([24]). ويري الباحث من التعريف اللغوي أن الإيمان مشتق من كلمة المؤمن ومنها الأمانة والأمن والإيمان، ومنها الإذعان والتصديق والطاعة والثقة؛ وسيعرج البحث الأن لتعريف مفهوم الإيمان شرعًا، لأن التعريف الشرعي يوضح المفهوم المراد للإيمان بصورة أكثر وضوحًا، على ضوء ما سيقدم من أدلة تؤدي إلي لإيضاح وتفسير المعني الاصطلاحي.

الإيمان في الاصطلاح الشرعي هو: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي التي عليها مدار النفس وتفكيرها، في حاضرها وفي المستقبل؛ يقول الإمام الدماميني رحمه الله: "وإن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا، فمن استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان"([25])، ويعرف الإيمان كذلك في الاصطلاح: هُوَ قَولُ اللِّسانِ، وَعَمَلُ الجوارِحِ، وَتَصديقُ القَلبِ، وَقَد اختَلفت

---

[23] مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 87

[24] القرآن الكريم: سورة طه:124.

[25] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86



عِباراتُ السَّلفِ في تَفسيرِ الإيمانِ وَتَباينتْ، وَلكنَّها جَميعاً تَرجِعُ إلى مَعنىً واحدٍ أو مَعانٍ مُتَقاربةٍ كما قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة : "وأجمعَ السَّلفُ أنَّ الإيمانَ قَولٌ وَعَملٌ، يَزيدُ وَيَنقصُ، وَمَعنى ذلكَ أنَّهُ قَولُ القَلبِ وَعَملُ القَلبِ، ثمَّ قَولُ اللِّسانِ وَعَملُ الجوارحِ، فأمَّا قَولُ القَلبِ فَهوَ التَّصديقُ الجازِمُ باللهِ وملائكتِهِ وَكتُبهِ وَرُسلهِ واليومِ الآخرِ، وَيَدخُلُ فِيهِ الإيمانُ بِكُلِّ ما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ"([26]).

ومما سبق يتبين أن هذا الأمر يستلزم، أن الإيمانَ وَاجِبٌ على جَميعِ الخَلقِ، وَهوَ الإذعان والتَصديقُ بالقَلبِ، والإقرارُ باللسانِ، وَالعَمَلُ بالجوارحِ والأركان؛ وَهذا هو تَعريفِ الإيمانِ الذي عليهِ مَذهب عامَّةِ السَّلف؛ ومِنهُم على سَبيلِ المثال: الأئمةُ :مالك والشافعيّ وأحمد، والإمام البُخاري، ومجاهد والحسن البصري، وعطاء، وعبيدِ الله بن عمر، والاوزاعيّ، والثوري، وابن المبارك، والنخعيِّ، وبن عيينه، وبن راهويه، وأهل المدينةِ وأهل الظاهرِ وَعامَّة عُلماءِ السنةِ؛ بحسب ما اطلع عليه الباحث في الكثير من المراجع والكتب والمواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت، وعلى المدونات والأبحاث وكتب التفسير والحديث؛ ولأهمية ذلك للبحث سنبحث في أقول الفقهاء والعلماء عن الإيمان في الاصطلاح بإسهاب؛ بحيث يقول شيخُ الإسلامِ ابن تيميَّة إنَّ من قَالَ من السَّلفِ : الإيمانُ قولٌ وعملٌ، أرادَ قَولَ القَلبِ واللسانِ وَعَملَ القَلبِ والجوارحِ، وَمَن أرادَ الاعتقادَ رأى أنَّ لَفظَ القولِ لا يُفهَمُ مِنهُ إلا القولُ الظَّاهرُ، أو خَافَ ذلكَ فزَادَ الاعتقادَ بالقلبِ، وَمَن قَالَ : قَولٌ وعَملٌ ونيَّةٌ ، قَال : القَولُ يتناولُ الاعتقادَ وَقولَ اللِّسانِ، وأمَّا العَمَلُ فَقَد لا يُفهمُ مِنه النيَّة فزادَ ذلكَ، وَمَن زادَ اتِّباع السُّنة فلأنَّ ذلكَ كلَّهُ لا يَكونُ محبوباً لله إلا باتِّباعِ السُّنةِ، وأولئك لم يُريدوا كلَّ قَولٍ وَعَملٍ، إنما أرادوا مَا كَانَ مَشروعاً مِن الأقوالِ والأعمالِ، وَلكن كَانَ مقصدهم الردُّ على المرجِئَةِ الذين جَعَلوهُ قَولاً فَقَط، فَقالوا: بَل هُوَ قَولٌ وعَمَلٌ، والذينَ جَعَلوهُ أربعةَ أقسامٍ فَسَّروا مُرادَهُم؛ ولما سُئلَ سهلُ التستريّ عنِ الإيمانِ قالَ: قَولٌ وَعَمَلٌ وَنيَّةٌ وَسُنَّةٌ، لأنَّ الإيمانَ إذا كانَ قَولاً بِلا عَمَلٍ فَهوَ كُفرٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً بِلا نيَّةٍ فَهوَ نِفاقٌ، وإذا كَانَ قَولاً وَعَمَلاً وَنيةً بِلا سُنَّةٍ فَهُوَ بِدعَةٌ([27])؛ و الإيمان حسب الدماميني يزيد وينقص، وهو قابل لِلشّدة والضعف([28]).

[26] كتاب مجموع الفتاوى: لابن تيمية، رقم : 239/5.

[27] كتاب مجموع الفتاوى: لابن تيمية، رقم : 239/5.

[28] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86



وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح.

ومما تقدم يتبين صحة ما وضحه الإمام الدماميني رحمه الله في كتابه: مصابيح الجامع في باب الإيمان من أنهُ هناك علاقة بين المعنى اللغوي والشرعي لمفهوم كلمة الإيمان- فعرفنا أن من معاني الإيمان في اللغة الإذعان والتصديق، وأن التصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح، وأما الإيمان في الشرع، عبارة عن تصديق مخصوص، وهو ما يسمى عند السلف، بقول القلب، وهو تصديق النبي صلى الله عليه وسلم "بما علم مجيئه بالضرورة"([29])، وهذا التصديق لا ينفع وحده، بل يحتاج معه من الانقياد والاستسلام والخضوع، وهو ما يسمى بعمل القلب ويلزم من ذلك قول اللسان، وعمل الجوارح، وهذه الأجزاء مترابطة، لا غنى لواحدة منها عن الأخرى ومن آمن بالله عز وجل، فقد أمن من عذابه في الأخرة ([30]، فالمنهج الصحيح إذن لفهم الألفاظ الشرعية هو أن نتلقى تفسيرهم وفهم السلف لمعاني هذه الألفاظ أولاً، ثم نضبط بهذا الفهم ألفاظ النصوص، وليس العكس، ولكن قوماً خرجوا على هذا المنهج، وعدلوا عن معرفة كلام الله ورسوله، وأخذوا يتكلمون في المسميات الشرعية بطرق مبتدعة ومقدمات لغوية وعقلية مظنونة، فقالوا: إن الإيمان لا تدخل فيه الأعمال وإنما هو التصديق المجرد؛ فخالفوا بذلك كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف، وقد بنوا قولهم هذا على مقدمتين مظنونتين ([31])؛ أما المقدمة الأولى: قولهم إن الإيمان في اللغة هو التصديق، والرسول إنما خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها، فيكون مراده بالإيمان التصديق المقدمة الثانية: قولهم إن التصديق إنما يكون بالقلب واللسان، أو بالقلب، فالأعمال ليست من الإيمان، وقد تصدى علماء السنة والجماعة لهؤلاء القوم، فردوا عليهم قولهم،

---

[29] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 84

[30] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 86

[31] مصابيح الجامع: وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه ، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، المجلد الأول – باب الإيمان 2009م، ص: 87



ودحضوا شبهاتهم، وكشفوا زيغهم وضلالهم ويتلخص الرد على أصحاب هذا الاتجاه من خلال استعراض أصول ثلاثة:

الأصل الأول: إن أهل اللغة لم يثبت عنهم أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق: أما عن الأصل الأول فنقول: إن أهل اللغة، إما يقصد بهم المتكلمون باللغة قبل الإسلام، فهؤلاء لم نشهدهم ولا نقل لنا أحد عنهم أن الإيمان عندهم قبل نزول القرآن هو التصديق، فمن يزعم أنهم لم يعرفوا في اللغة إيماناً غير ذلك من أين لهم هذا النفي الذي لا تمكن الإحاطة به! إن الألفاظ لا ينطق بها ولا تستعمل إلا مقيدة، إذ لا يوجد في الكلام حال إطلاق محض للألفاظ، بل الذهن يفهم من اللفظ في كل موضع ما يدل عليه اللفظ في ذلك الموضع، وكذلك لفظ الزكاة، بيّن النبي صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب، وسماها الزكاة المفروضة، فصار لفظ الزكاة إذا عرف باللام ينصرف إليها لأجل العهد، ولفظ الإيمان أمر به مقيداً بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وكذلك لفظ الإسلام بالاستسلام لله رب العالمين، وكذلك لفظ الكفر مقيداً، فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الأسماء، كخطاب الناس بغيرها، وهو خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل أنواعاً، وقد بين الرسول تلك الخصائص، والاسم دل عليها، فلا يقال إنها منقولة، ولا إنه زيد في الحكم دون الاسم، بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع، لم يستعمل مطلقاً، وهو إنما قال: (أقيموا الصلاة) بعد أن عرفهم الصلاة المأمور بها، فكان التعريف منصرفاً إلى الصلاة التي يعرفونها، لم ينزل لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه، وكذلك الإيمان والإسلام وقد كان معنى ذلك عندهم من أظهر الأمور([32])، فالواجب أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله([33]).

المبحث الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

في بداية المبحث الثاني في هذا الباب يترجح ما يراه جُل أهل السنة والجماعة والصحابة الكرام والتابعين رضي الله عنهم جميعًا وغالبيتهم يرون أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي؛ وسنأتي بالتفصيل على حقيقة الإيمان

---

[32] علوي بن عبد القادر السقاف- كتاب: ملخص فقه العبادات (الطهارة، الصلاة)، الناشر: مؤسسة دار الدرر السنية، الظهران- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي، سنة الطبع: 1437هـ، 2016م، باب الإيمان، والصلاة والصوم، ص: 134.

[33] مرجع سابق: علوي بن عبد القادر السقاف- كتاب: ملخص فقه العبادات ، الناشر: مؤسسة دار الدرر السنية، الظهران- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولي، سنة الطبع: 1437هـ، 2016م، باب الإيمان، والصلاة والصوم، ص: 135.



هل يزيد أم ينقص وما قيل من كلام من الكثير من العلماء والفرق والجماعات والأئمة كما سيأتي ذكره. هناك أربعة أمور فيها قواسم مشتركة يتفق عليها الكثير من العلماء وتتركب منها حقيقة زيادة الإيمان ونقصانهُ:

أولاً: قول القلب: هو معرفته للحق، واعتقاده، وتصديقه، وإقراره، وإيقانه به؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم يتردد فيه، قال عز وجل: (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) [34]، وقال تعالى: (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) [35]، وقال أيضاً: (كتب في قلوبهم الإيمان) [36]، وقال أيضاً: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) [37]، وقال – صلى الله عليه وسلم: " يا معشر من آمن بلسان، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه"[38]؛ إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة في أن إيمان القلب شرط في الإيمان، ولا يصح الإيمان بدونه، وأنه إذا وجد سرى ذلك إلى الجوارح ولابد، ويقول الإمام المروزي – رحمه الله :(أصل الإيمان التصديق بالله، وبما جاء من عنده، وعنه يكون الخضوع لله لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع أطاع.. ومعنى التصديق هو المعرفة بالله، والاعتراف له بالربوبية، بوعده، ووعيده، وواجب حقه، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل[39]، ومن التصديق بالله يكون الخضوع لله، وعن الخضوع تكون الطاعات، فأول ما يكون عن خضوع القلب لله الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح والإقرار باللسان)، والمعرفة التي هي إيمان، هي معرفة تعظيم الله، وجلاله، وهيبته، فإذا كان كذلك، فهو المصدق الذي لا يجد محيصاً عن الإجلال، والخضوع لله بالربوبية، فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله، والتعظيم له، والخوف منه، والتسارع إليه بالطاعة على قدر ما وجب في القلب من عظيم المعرفة) ويقول: (أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع، فلا يكون مصدقاً إلا

---

34 (سورة الحجرات: الآية:14)

35 (سورة الحجرات: الآية:7)

36 (سورة النحل: الآية:106)

37 (سورة النحل: الآية:106)

38 أخرجه الترمذي (2032) وابن حبان (5763) والبغوي في شرح السنة (3526) من طريق الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه. وهذا الحديث ضعيف؛ أخرجه أبو داود (4880) وأحمد (4/420-421) وابن أبي الدنيا في الصمت (167) وفي الغيبة (29) وأبو يعلى (7386-7387) والبيهقي (10/247) وفي الآداب (152) من طُرق عن أبي بكر بن عياش، وأحمد (4/424) من طريق قطبة بن عبد العزيز الأسدي، وابن أبي الدنيا في الصمت (169).

39 محمد بن نصر بن حجاج المروزي كنيته: أبو عبد الله المَرْوَزِي. خرج منها جماعة كثيرة قديما وحديثا من أهل العلم والحديث. ، وهو كان أمير خراسان وصاحب الجيوش بها زمن عثمان؛ أحد من استبحر في علمي الفقه والحديث... وهو صاحب اختيار، وربما تذرع متذرع بكثرة اختياراته المخالفة لمذهب الشافعي إلى الإنكار على الجماعة العادين له في أصحابنا، وليس الأمر كذلك، لأنه في هذا بمنزلة ابن خزيمة، والمزني، وأبي ثور قبله، وغيرهم. فلقد كثرت اختياراتهم المخالفة لمذهب الشافعي، ثم لم يخرجهم ذلك عن أن يكونوا في قبيل أصحاب الشافعي معدودين، وبوصف الاعتزاء إليه موصوفين.



خاضعاً، ولا خاضعاً إلا مصدقاً، وعنهما تكون الأعمال[40]، يتبن لنا مما سبق أن العلم والمعرفة والتصديق (أي قول القلب)، إن لم يصحبها الانقياد والاستسلام والخضوع، (أي عمل القلب والجوارح) لم يكن المرء مؤمناً، بل تصديق هذا شر من عدمه؛ لأنه ترك الانقياد مع علمه ومعرفته، والدليل على أن التصديق والمعرفة فقط لا تنفع صاحبها وصف الله به إبليس بقوله: (خلقتني من نار) [41]،وقوله: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين) [42]، فأخبر أنه قد عرف أن الله خلقه، ولم يخضع لأمره فيسجد لآدم كما أمره، فلم ينفعه معرفته إذ زايله الخضوع؛ والدليل على ذلك أيضاً شهادة الله على قلوب بعض اليهود أنهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، وما أنزل إليهم كما يعرفون أبناءهم، فلا أحد أصدق شهادة على ما في قلوبهم من الله، إذ يقول لنبيه: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) [43]، وقال الله عز وجل: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) [44]، وقال تعالي: (ليكتمون الحق وهم يعلمون) [45] فشهد على قلوبهم وهم اليهود أهل الكتاب بأنها عارفة عالمة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – مكتوب عندهم بالتوراة أنْ لَيس لَهم كتمانه, فيتعمَّدون معصية الله تبارك وتعالى، يكتمون محمدًا صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل[46]، ومن المعلوم أن بعض السلف يطلق اسم التصديق أو اعتقاد القلب ويقصد به قول القلب وعمله جميعاً، أو عمل القلب وحده. يقول الإمام أحمد – رحمه الله –:[47]، " وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقاً بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج على المعرفة مع الإقرار، فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف، فهو من ثلاثة أشياء، وإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال قولاً عظيماً" ويري الباحث من خلال كلام الإمام أحمد أنه يعني بالتصديق عمل القلب ويعني بالمعرفة قول القلب، أما الإقرار فقول اللسان [48]، وقال الإمام أبو ثور لما سئل عن الإيمان ما هو(فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق

---

40 محمد بن نصر بن حجاج المروزي كنيته: أبو عبد الله المَرْوَزِي. خرج منها جماعة كثيرة قديما وحديثا من أهل العلم والحديث. ، وهو كان أمير خراسان وصاحب الجيوش بها زمن عثمان؛ أحد من استبحر في علمي الفقه والحديث.

41 (الأعراف : الآية:12)

42 (ص : 80)

43 (سورة البقرة – الآية 89)

44 (سورة البقرة – الآية 146)

45 (سورة البقرة – الآية 146).

46 تفسير الطبري، مرجع سابق، سورة البقرة: الآية: 146، الجزء الثاني، ص: 24.

47 طبقات الحنابلة (1/ 416)؛ كتاب المحنة ص (68)، والموسوعة العقدية: "حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

48 طبقات الحنابلة (1/ 416)؛ كتاب المحنة ص (68)، والموسوعة العقدية: "حقيقة الإيمان عند أهل السنة.



بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح، وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أن الله عز وجل واحد، وأن ما جاءت به الرسل حق، وأقر بجميع الشرائع، ثم قال: ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم ولو قال: المسيح هو الله، وجحد أمر الإسلام، قال لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً، حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه فإذا كان تصديق بالقلب وإقرار باللسان كان عندهم مؤمناً [49]،وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً...) ثم رد على من أخرج العمل من الإيمان فالغالب أنه يقصد بالتصديق هنا (قول القلب وعمله) والله أعلم؛ ويقول ابن تيمية (وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، جعل القول والعمل اسماً لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب[50]، ولا بد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب، أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله والتوكل عليه، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها)، ويقول الإمام ابن القيم موضحاً ذلك: (ونحن نقول: الإيمان هو التصديق، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيماناً لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما يعرفون أبناءهم . ومما سبق يري الباحث على أن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذنوب؛ ومثال ذلك ونحن في شهر رمضان المبارك نري كيف أن الإيمان يزيد ويرتفع عند كثير من المسلمين من خلال الصيام والصلاة في المساجد وصلاة التراويح وفعل الخيرات و أداء الصدقة وزيارة الأرحام، وينقص بمجرد انقضاء الشهر الفضيل مع نقصان عمل الخيرات والطاعات وعدم حضور الصلاة مع الجماعة في المسجد، وانتهاء الصيام؛ وإن زيادة الإيمان تنبع من أهمية الخضوع والاستسلام والانقياد أي: مع عمل القلب والجوارح، لأنها أساس دعوة الأنبياء والرسل، وأن قضيتهم مع أقوامهم دائماً ليست قضية المعرفة والعلم المجرد (أي قول القلب) قال تعالى: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)[51]، وقال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها

---

49 م إبراهيم بن خالد ، الإمام الحافظ الحجة المجتهد ، مفتي العراق أبو ثور ، الكلبي البغدادي الفقيه، [ص: 73] ولد في حدود سنة سبعين ومائة . حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ الرسالة؛ سنة النشر: 1422هـ / 2001م ،ج:12.

50 إبراهيم بن خالد ، الإمام الحافظ الحجة المجتهد ، مفتي العراق أبو ثور ، الكلبي البغدادي الفقيه ، ويكنى أيضا أبا عبد الله . [ص: 74] ولد سنة سبعين ومائة . حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ مؤسسة الرسالة؛ سنة النشر: 1422هـ / 2001م الجزء الثاني عشر.

51 (سورة الأنعام – الآية 33).



أنفسهم ظلماً وعلواً)، فالكفار والمنافقون غالباً ما يقرون بالربوبية والرسالة ولكن الكبر والبغض وحب الرياسة والشهوات ونحوها تصدهم عن الطاعة والإخلاص والمتابعة (أي توحيد الألوهية) ومن ثم فلا ينفعهم ذلك، ولا ينجيهم من عذاب الله عز وجل في الآخرة، ومن أجل زيادة الإيمان يتوجب على الدعاة إلى الله عز وجل أن لا تقتصر دعوتهم بالاهتمام بتوحيد الربوبية فقط دون الدعوة إلى توحيد الألوهية، وإنما يكون اهتمامهم بالربوبية طريقاً ومنطلقاً لترسيخ وتثبيت توحيد الألوهية والعبودية، ومن ثم توحيد الأسماء والصفات، وتجسيد القول بعمل الصالحات والخيرات ليزيد الإيمان. **ثانيا**: **قول اللسان**: إقراره والتزامه. أي: النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها. قال تعالى: { قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[52]وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }[53]وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة" [54]؛ واتفق أهل السنة على أن النطق بالشهادتين شرط لصحة الإيمان ،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر) وقال أيضاً (فأما الشهادتان) إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها) [55] وقال أيضاً (إن الذي عليه الجماعة أن من لم يتكلم بالإيمان بلسانه من غير عذر لم ينفعه ما في قلبه من المعرفة، وأن القول من القادر عليه شرط في صحة الإيمان [56].

ثالثا: **عمل القلب**: وهو نيته وتسليمه، وإخلاصه، وإذعانه، وخضوعه، وانقياده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكله عليه – سبحانه – ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمه، وحبه وإرادته، قال الله تعالى: { وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ

---

52 (سورة البقرة – الآية 136).

53 (سورة البقرة – الآية 136).

54 صحيح البخاري: لحديث 209 – المجلد 4، كتاب 52، عدد 41.

55 فتاوي ابن تيمية: كتاب الإيمان: ص:209 .

56 تقي الدين ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية الإمام، شيخ الإسلام. كتاب: مجموع فتاوى ابن تيمية: كتاب العقيدة– المجلد الأول.



وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }وقال تعالى:{ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى {19} إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى {20} وَلَسَوْفَ يَرْضَى }[57]، فمن لم يوجد في قلبه عمل القلب من أصل الخوف والرجاء والحب والتوكل فهو كافر بالاتفاق،وما زاد على أصل الخوف والحب والرجاء فهو ما بين واجب ومستحب؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق القلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، ...ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها جزءاً من الإيمان ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب"؛ فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق، وكانت النتيجة زيادة الإيمان؛ ونختم بنص نفيس لابن القيم ــ رحمه الله ــ حيث يقول [58]،: كل مسألة علمية فإنه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبه، وذلك عمل بل هو أصل العمل، وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين في مسائل الإيمان، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه، فإن كثيراً من الكفار كانوا جازمين بصدق النبي صلى الله عليه وسلم في كل مسألة علمية غير شاكين فيه، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب من حب ما جاء به والرضا وإرادته، والموالاة والمعاداة عليه، فلا تهمل هذا الموضوع فإنه مهم جداً[59]، به تعرف حقيقة الإيمان.

---

[57] سورة الأنعام: الآية: 52.

[58] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيّم الجوزية من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري عاش في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي ولازمه الميلاد: ٢٨ يناير، ١٢٩٢، حوران، الأردن– الوفاة: ١٥ سبتمبر، ١٣٥٠، دمشق، سوريا. عنوان الكتاب: زاد المعاد في هدي خير العباد (ت: الأرناؤوط) المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط– حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1418 – 1998، عدد المجلدات: 6رقم الطبعة: 3، ص:123.

[59] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الشهير بابن قيّم الجوزية: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1418 – 1998، عدد المجلدات: 6 – رقم الطبعة: 3، ص:123..



رابعاً:عمل الجوارح: أي فعل المأمورات والواجبات، وترك المنهيات والمحرمات. مثل الصلاة، والقيام، والركوع، والسجود، والصيام، والصدقات، والمشي في مرضاة الله تعالى؛ كنقل الخطأ إلى المساجد، والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أعمال شعب الإيمان، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[60]،{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ }[61].وقال تعالى: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {63}وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا }[62]، ومن الأدلة في القرآن الكريم على أن الأعمال جزء من الإيمان قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[63] وقال تعالى: { التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }[64]. وقال: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[65]وقد جعل الله عز وجل، الطاعات جميعها من الإيمان في أكثر من موضع في آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله عز وجل:{ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } (لم يختلف المفسرون بأن الله أراد من {إِيمَانَكُمْ} [66]، المقصود بالإيمان في الآية؛ صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً، ولو لم تكن جزءاً من الإيمان وركنا فيه؛ لما صح تسميتها به؛ فهذا دليل بين على أن العمل من الإيمان. وكذلك قرن الله عز وجل – الإيمان مع العمل في كثير من الآيات، وجعل جنة الخلد جزاءً لمن آمن وعمل صالحاً، وذلك مصداق قول الله جل جلاله : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً

---

60 سورة الحج :الآية: 77.

61 سورة آل عمران :الآية: 102.

62 سورة الفرقان :الآية: 63.

63 سورة التوبة :الآية: 72.

64 سورة التوبة :الآية: 112.

65 سورة البقرة :الآية: 177.

66 سورة البقرة :الآية: 143.



}[67]وقال: { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }وقال: { وَالْعَصْرِ {1}إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }[68]وهذه الآيات الكريمات البينات؛ كلها تدخل الأعمال الصالحة، وجميع الطاعات معها تحت مفهوم كلمة ومسمى الإيمان.

وأما عن الأدلة من السنة عن زيادة الإيمان أو نقصانه ما يلي:

1- هناك كثير عن زيادة الإيمان أو نقصانهِ، ومن تلك الأدلة الصريحة في ذلك حديث وفد عبد القيس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم " أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنْ الْمَغْنَمِ "[69]، ففي هذا الحديث بين وفسر ووضح الرسول صلى الله عليه وسلم للوفد الإيمان هنا بقول اللسان، وأعمال الجوارح (ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وفسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق مع العلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود.

2- ومن الأدلة أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ شَارِبُهَا حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ مُنْتَهِبٌ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ" [70]، وما في معناه من الأحاديث في نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر وترك الواجبات والدليل: عن أَنَسِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ إِلاَّ قَالَ:« لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ ».[71]، فلولا أن ترك هذه الكبائر من مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء

---

[67] سورة الكهف :الآية: 17.

[68] سورة العصر :الآية: 1-5.

[69] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققهُ: محمد عبد الباقي، وأخرجه: محب الدين الخطيب دار الريان للتراث سنة النشر: 1407هـ / 1986م ،الطبعة الثانية، عدد الأجزاء: ثلاثة عشر جزءا.، الحاشية رقم 1- الجزء1- الصفحة/222.

[70] عبد الرحمن بن صخر: محمد بن إسماعيل البخاري كتاب صحيح البخاري، رقم الحديث: (6304) (6772) .

[71] سمير مراد: عمان الأردن: قال : هذا بحث أردت المشاركة به في بيان الحق فيما أظنه ، وقد كنت درَّستُهُ في مسجد السنة (القويسمة) بتاريخ 26/جماد الآخرة /1417 للهجرة ، بينت فيه حد الإيمان عند شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى؛ من خلال كتابه (الإيمان) الموجود ضمن مجموعة الفتاوى / المجلد السابع ، وقد طبع ذلك مستقلاً ، وكذلك من خلال بعض كتبه الأخرى مما هو عندي ، وبعض الكتب الأخرى لغيره من أهل العلم كالتمهيد لابن عبد البر، ولكني اقتصرت في هذه الكتابة على كتاب الإيمان له .



منها لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته) (72) ويقول ابن تيمية (.... ثم إن نفي الإيمان عند عدمها دال على أنها واجبة فالله ورسوله لا ينفيان اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته كقوله صلى الله عليه وسلم " لا صلاة إلا بأم القرآن " وقوله صلى الله عليه وسلم " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، كما بين ابن تيمية رحمه الله تعالى أن مطلق الإيمان وهو أصله، غير الإيمان المطلق وهو الإيمان التام الواجب وبين أن جنس العمل الظاهر شرط في الإيمان المطلق وليس في أصل الإيمان، والاتفاق على أن من لم ينطق بالشهادتين فهو كافر، ثم اختلفوا في ترك الباقي وهي روايات عن أحمد أحداها أنه لا يكفر بترك شيء منها إذا لم يكن جاحداً لفرضيتها . "(73) .

3- ومن الأحاديث أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: " الطهور شطر الإيمان " (74)ومثله " حسن العهد من الإيمان " (وغيرها كثير، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم -: " من أعطى لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله فقد استكمل إيمانه " (75)وهذا يدل على أن هذه الأعمال جزء من مسمى الإيمان يكمل بوجودها وينقص بنقصها، ويزول بزوال جنسها والآيات والأحاديث الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه كما سيأتي (لأن الأعمال إذا كانت إيمانا كان بكمالها تكامل الإيمان، وبتناقصها تناقص الإيمان وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم كما هم متفاضلون في أعمالهم، وحرم أن يقول قائل (إيماني وإيمان الملائكة والنبيين واحد) لأن الطاعات كلها إذا كانت إيماناً فمن كان أكثر طاعة كان أكثر إيماناً ومن أدخل المعاصي بعد الطاعات وخلط عاملاً صالحًا وأخر سيئًا كان أنقص إيماناً ممن أخلص الطاعات جميعها. يري الباحث: بعد سرد كل ما سبق عن زيادة الايمان ونقصانه ،كما وضحنا في بداية هذا المبحث أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالسيئات والمنكرات؛ ودليل ذلك بعض الأحاديث التي تدلل عن زيادة الإيمان، ومن خلال حديث شعب الإيمان. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها

---

[72] المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين أبو الفرج الحنبلي الدمشقي: عنوان الكتاب: "لطائف المعارف فيما للمواسم من وظائف" (ت: السواس)، المحقق: ياسين محمد السواس، مفهرس على العناوين الرئيسية، الناشر: دار ابن كثير: سنة النشر: 1420 - 1999
عدد المجلدات: 1 رقم الطبعة: 5، ص:234.

[73] عبد الرحمن بن صخر: محمد بن إسماعيل البخاري كتاب صحيح البخاري، رقم الحديث: (6304) (6772) .

[74] سنن صحيح ابن ماجه : رقم الحديث (280)
باب الوضوء شطر الإيمان 280 حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي حدثنا محمد بن شعيب بن شابور أخبرني معاوية بن سلام عن أخيه أنه أخبره عن جده أبي سلام عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إسباغ الوضوء شطر الإيمان – ص 103

[75] عبد الرحمن بن صخر: محمد بن إسماعيل البخاري كتاب صحيح البخاري، رقم الحديث: (6304) (6772) .



قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " وقد اعتنى الأئمة بهذا الحديث واعتبروه أصلاً لإدخال الطاعات في الإيمان وعدوها من شعبه وألفوا في ذلك بعض المصنفات، ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يتفاضل ويزيد الإيمان بالطاعة وينقص بالمعصية؛ قال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [76]وقال :(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [77]وقال تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [78]وقال تعالى: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) [79]، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ) [80]وقال تعالى:(وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً) [81]، وقال تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [82]، وكل ما يزيد فقد كان ناقصاً، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم وعظ النساء، وقال لهن: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن"[83]، فهذا دليل على نقصان الإيمان. ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا". رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة. وإذا كان من اتصف بحسن الخلق فهو أكمل المؤمنين إيمانا، فغيره ممن ساء خلقه أنقص إيمانا. والإيمان ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ لذلك يصح الاستثناء فيه؛ وذلك بأن يقول

---

76 آل عمران : 173 .

77 الأنفال : 2 .

78 التوبة : 124 .

79 الأحزاب : 22.

80 الفتح : 4 .

81 المدثر : 31 .

82 التوبة : 124.

83- رواه البخاري في صحيحه (304)، ورواه مسلم في صحيحه (132). [1]- أخرجه الترمذي، أبواب الرضاع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم (1162)، وأحمد في المسند، برقم (7402)، وقال محققوه: "حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عمرو -وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي- فمن رجال أصحاب السنن، وروى له البخاري مقرونا، ومسلم متابعة، والحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده"، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (1232).



المسلم –مثلاً–: أنا مؤمن إن شاء الله؛ قال البيهقي: وقد روينا هذا – يعني الاستثناء في الإيمان – عن جماعة من الصحابة والتابعين والسلف الصالح) [84].

يتضح مما سبق ذكره أن مذهب السلف من أئمة السنة يستثنون في الإيمان ما كان راجعاً لأحد الأمور الأربعة التالية: **الأول**: بالنظر إلى تقبل الأعمال، فليس كل من عمل العمل تقبل منه، بل إن الله يقبل عمل المتقين من عبادهِ الصالحون كما قال تعالي : "إنما يتقبل الله من المتقين" [85]وفي الآية الكريمة دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن مُتقٍ، والثاني بالنظر إلى خشية ألا يكون أتى بالإيمان الكامل الذي يريده الله، وذلك بأن لا يكون أتى بالواجب كما يريده الله أو يكون اقترف بعض المحرمات، وأما الثالث فبالنظر إلى البعد عن تزكية النفس كما قال الله عز وجل: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ[86]، وفي قوله تعالي: (فلا تزكوا أنفسكم) أي : تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ، (هو أعلم بمن اتقى) [87]،كما قال : (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) [88]، وأما الرابع: بالنظر للأمور المتيقن منها فيكون الاستثناء على اليقين كقوله تعالى: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) [89]، آمنين أي على غير معنى شك أو خوف يعلمه الإنسان من نفسه، وإلا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كمله، فيخاف من نقصه، وهم أمنين لأنهم اطمأنت قلوبهم بالإيمان، ولفظي الإسلام والإيمان يختلف بعضهما في معناهما عن بعض بحسب الإفراد والاقتران وقاعدة ذلك وإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، قال تعالي: (قَالَتِ

---

84 أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، برقم (2612)، وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (574/1)، في كلامه على حديث رقم (283)، وقال: "وإسناده صحيح على شرط الشيخين".رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح – تحقيق الألباني :حسن صحيح ، الصحيحة (284)

85 سورة المائدة: الآية: 27.

86 سورة النجم: الآية: 32.

87 سورة النجم: الآية: 32.

88 سورة النساء: الآية: 49.

89 سورة الفتح: الآية: 27.



الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [90]، فهكذا اسم الإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده

على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي ويدل على صحة ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم [91]، فسر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل – عليه السلام – وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان، كما في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عبسة قال: جاء رجل إلي النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال:(يا ر سول الله ما الإسلام؟ قال:(أن تسلم قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك)، قال: فأي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، قال: وما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)[92]، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان أفضل الإسلام، وأدخل فيه الأعمال؛ وبهذا التفصيل يزول الاختلاف فإذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق)[93].

وأن مسألة زيادة الإيمان ونقصانهِ من وجه نظر المخالفين لأهل السنة والجماعة، وخاصة في مسألة زيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالمعاصي؛ حيث يقول الإمام الدماميني رحمه الله: الإيمان قول باللسان، وفعل بالجوارح والجنان فأطلق علي اعتقاد القلب فعلاً، ويزيد وينقص، أي الإيمان بهذا التفسير، وأما باعتبار حقيقة التصديق فلا يزيد ولا ينقص، نعم، هو قابل للشدة والضعف"[94]، وكلام الدماميني رحمه في كتابه المصابيح في شرح صحيح البخاري هو نفس منهج وكلام أهل السنة عن حقيقة الإيمان، من زيادتهِ ونقصانه، والإيمان كما هو عند أهل السنة والجماعة : قول وعمل واعتقاد، إلا إنهم خالفوا المعتزلة الذين قالوا : الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإن تارك بعض العمل ـ آحاده ـ أو مرتكب الكبيرة ليس في قلبه شيء من الإيمان وهو مخلد في الآخرة في النار، واختلفوا في حكمه في الدنيا، فقالت الخوارج : هو كافر، وقالت

---

90 سورة الحجر: الآية: 14.

91 شعب الايمان للبيهقي: عنوان الكتاب: الجامع لشعب الإيمان (ط. الرشد) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر؛ المحقق: مختار أحمد الندوي – عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1423 – 2003عدد المجلدات: 14 رقم الطبعة: 1؛ المجلد الرابع: ص 231.

92 نفس المرجع السابق: شعب الايمان للبيهقي: عنوان الكتاب: الجامع لشعب الإيمان (ط. الرشد) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي: ص 232.

93 مرجع سابق: شعب الايمان للبيهقي المجلد الرابع: ص 231.

94 الإمام تقي الدين الدماميني ، مرجع سابق:كتاب صحيح الجامع، باب الإيمان، ص:87.



المعتزلة : هو بمنزلة بين منزلتين[95]، **والطائفة الثانية**: الجهمية، والإيمان عندهم : هو المعرفة فقط دون تصديق القلب، وقول اللسان وعمل الجوارح، فلو لم يصدق بقلبه وينطق بلسانه ويعمل بجوارحه فهو مؤمن إذا عرف بقلبه لأن هذه

الثلاثة غير داخلة في الإيمان، ولازم ذلك عندهم إيمان إبليس وفرعون وأبي جهل لأنهم عرفوا الله، "وقد سئل فضيل بن عياض عن الإيمان قال داخله وخارجه الإقرار باللسان، والقبول بالقلب والعمل به"[96]، ومن العلماء من قال لا تجزأ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، لمن قال إن الإيمان هو المعرفة، ولا تجزأ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتي يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذهِ الثلاث خصال كان مؤمنًا"[97]، وأما **الطائفة الثالثة فهي**: الكرامية، والإيمان عندهم : قول باللسان دون تصديق القلب أو عمل الجوارح، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان لأن الإيمان عندهم لا يتبعض، لكنهم لا ينكرون وجوب التصديق بل عندهم من كان مقراً بلسانه مكذباً بقلبه فهو منافق خالد في النار في الآخرة، فخالفوا أهل السنة في مسألة التصديق في الاسم ووافقوهم في الحكم، الطائفة الرابعة : الأشاعرة، والإيمان عندهم : مجرد تصديق القلب دون عمله وعمل الجوارح ودون قول اللسان. لكنهم يقولون : إن للإيمان لوازم إذا ذهبت دل على عدم تصديق القلب. وأما الطائفة الخامسة : وهم مرجئة الفقهاء، والإيمان عندهم : قول باللسان واعتقاد بالقلب دون عمل الجوارح، ولذا فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، ومع أن المرجئة[98]، وهم حسب القاموس أرجأ الأمر أي أخره، يجمعون تقريباً على أن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان ولا داخلاً في مفهومه، إلا أن مرجئة الفقهاء أقرب هذه الطوائف لأهل السنة، وأبعدها طائفة الجهمية القائلون بأن الإيمان هو المعرفة فقط، ولذا كَفَّرهُم جمع من أئمة السلف دون باقي طوائف المرجئة. وأشار شيخ الإسلام: "أن الغلط دخل على هذه الطوائف بسبب أنهم ظنوا أن الإيمان كل لا يتبعض ولا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص، بل إذا وجد فصاحبه مؤمن كامل الإيمان وإذا ذهب بعضه ذهب كله[99]، وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء

---

95 ابن حزم الظاهري، معتقد المعتزلة في الملل والنحل، المجلد الثالث، ص: 188.

96 عبد العزيز بن سلمه: " تقريب التهذيب"، بغداد، ابن حجر العسقلاني، المجلد الأول، ص:510.

97 أبو بكر محمد بن حسين الأجري، الكتاب: "الشريعة"، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة: الأولي، الناشر: مطابع السنة المحمدية، سنة: 1950م، ص: 119.

98 الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط: المجلد الأول، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة ، بدون تاريخ، ص: 16.

99 مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – ا.هـ (مجموع الفتاوى (7 / 451) (كتاب الإيمان) الموجود ضمن مجموعة الفتاوى / المجلد السابع – الطبعة الأولي ، كتاب الإيمان:(مجموع الفتاوى (7 / 438 – 439).



بعضه؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلَّم :"يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان " — ثم قال — وقالت المرجئة والجهمية : ليس الإيمان إلا شيئاً واحداً لا يتبعض — ثم قال — قالوا لأننا أدخلنا فيه الأعمال صارت

جزءاً منه، فإذا ذهب بعضه فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان [100]. ومن أدلة أهل السنة في زيادة الإيمان ما روى مسلم عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي قال : وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[101]،: لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله، ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فو الله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما ذاك؟." قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والذي نفسي بيده؛ إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات " قوله: (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا[102]، ويقول تعالى وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقا إلى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدّة خزنة جهنم، وقوله: (وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) ([103]) يقول: ولا يشك أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك، والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ) ([104]) يقول تعالى ذكره: وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق، والكافرون بالله من مشركي قريش (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا) ([105]) ؛ وقد تناول الإمام تقي الدين الدماميني مسألة زيادة الإيمان ونقصانه من خلال كتابهِ مصابيح الجامع في شرح صحيح البخاري، ومن الأمثلة على ما قاله الإمام الدماميني في شرحه لمصابيح الجامع في مسألة

---

100 مرجع سابق: ابن تيمية – رحمه الله تعالى – ا.هـ (مجموع الفتاوى (7 / 451)) من خلال كتابه (الإيمان) الموجود ضمن مجموعة الفتاوى / المجلد السابع – الطبعة الأولي ، كتاب الإيمان:(انظر الفتاوى:47،50/13). فتاوي تيمية).

101 الإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح الإمام مسلم، كِتَاب التَّوْبَةِ، بَاب فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ، رقم الحديث: 4943.

102 الإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح الإمام مسلم، كِتَاب التَّوْبَةِ، بَاب فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ، رقم الحديث: 4943.

103 سورة المدثر: الآية :30.

104 سورة المدثر: الآية: 30-31.

105 سورة المدثر: الآية: 31.



زيادة الإيمان ونقصانه، بعدما قال رحمه الله بأن الإيمان، هو تصديق النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما علم مجيئه به بالضرورة[106]؛ كما سبق ذكره، والأكثرون على أنه لا بد من الإقرار مع التمكن، وكثير من السلف، ومنهم البخاري

على أنه التصديقُ والإقرارُ والعملُ، لكن لا يخرج بترك العمل من الإيمان؛ خلافًا للمعتزلة، ولا يدخل في الكفر؛ خلافًا للخوارج، فالفاسق عندنا مؤمن، وعند المعتزلة ليس بمؤمن ولا كافر[107]، ونحصر ونختصر أهم الأقوال في زيادة الإيمان ونقصانه في هذا المبحث كما يأتي:

الرأي الأول: الإيمان هو: قول باللسان وهو النطق بالشهادتين واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان وهذا القول هو للإمام البخاري، وابن عيينة، والثوري، وابن جريج، ومجاهد ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من سلف هذه الأمة وخلفها من المتكلمين والمحدّثين، وأرادوا بذلك إنَّ الأعمال شرط لكمال الإيمان وليس شرطاً لصحته [108].

الرأي الثاني: إن الإيمان هو تصديق الرسول بما علم مجيئه ضرورةً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً تصديقاً جازماً مطلقاً سواء أكان لدليل أم لا؛ وهذا القول هو للأشعرية، وأكثر ألائمة، والقاضي عبد الجبار و وافقهم ابن الراوندي من المعتزلة [109]، والتصديق هنا غير العلم والمعرفة، والتصديق غير العلم والمعرفة، لأنَّ من الكفار من كان يعرف الحق ولا يصدق به عناداً واستكباراً[110]، ويترتب على هذا أن من صدَّق بقلبه ولم يقرّ بلسانه فهو مؤمن عند الله ويعامل معاملة الكافر في الدنيا، حتى لو مات عليه في الحال، كان مؤمناً ناجياً، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك، ومن اقرَّ بلسانه ولم يصدّق بقلبه فهو كافر عند الله وتجري عليه أحكام المسلم في الدنيا وهو المنافق [111].

---

[106] الدماميني، *مصابيح الجامع* 1. 86

[107] الدماميني، مصابيح الجامع 1. 85

[108] المزني، أبو ابراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، 1415هـ / 1995م، شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني، تحقيق: جمال عزون، السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية، 1: 77. ابو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، 1397هـ /1977م، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، لقاهرة: دار الأنصار، 1 :20.

[109] أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، 280هـ/894م، نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريس الجهمية العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع .

[110] التفتا زاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله ، 1401هـ / 1981م، شرح المقاصد، باكستان: دار المعارف النعمانية 1: 250 .

[111] الشهرستاني، الملل والنحل، 1: 101، السعدي، عبد الملك عبد الرحمن، 1408هـ /1988م، شرح النسقية في العقيدة الإسلامية، العراق: مكتبة دار الأنبار، 1: 165 .



الرأي الثالث: إن الإيمان هو المعرفة، أي المعرفة بالله وحده، وهو مذهب جهم بن صفوان، فمن عرف الله بقلبه وجحد بلسانه ومات قبل الإقرار فهو مؤمن إيماناً كاملاً [112]، وهو قول باطل لأن من عرف بقلبه ولم يصدَق قلبه ولم يتكلم

بلسانه ولم يعمل بجوارحه، فإنه لا يعلق عليه شيء من أحكام الإيمان في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده المؤمنين، ولزم أيضاً إيمان أهل الكتاب لأنهم عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به، وكذلك للزم إيمان فرعون وقومه لأنهم عرفوا صدق سيدنا موسى ولم يؤمنوا[113].

الرأي الرابع: إنَّ الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان، وهو رأي الحنفية[114].

الرأي الخامس: الإيمان هو النطق بكلمتي الشهادة فقط، وهو قول الكرامية، والمرجئة، وزعموا أن المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة فيثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة [115]، وقد رد الإمام البخاري "رحمه الله" على أصحاب هذا القول من المرجئة في أكثر من باب في كتاب الإيمان ومنها: باب من قال إن الإيمان هو العمل.

الرأي السادس: "الإيمان هو العمل"، وهو قول المعتزلة وقد اختلفوا في ذلك الى ثلاث فرق[116]؛ واذا انتفى جزء من الإيمان فكيف لا ينتفي الكل بانتفاء الجزء؟، ويجيب الدماميني على هذا السؤال بقوله :" أن المراد أن الإيمان لا يطلق على أساس النجاة، وعلى الكامل المنجي بلا خلاف، والدليل على أنه عمل القلب قولُه تعالى:﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[117]،﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾[118]﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[119]؛بالشهادتين إنما هو في حكم الدنيا من عصمة الدم والمال، وحقيقةُ التصديق: الإذعان[120].

---

[112] القسطلاني، *إرشاد الساري*، 1: 120.

[113] علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، ط3، تحقيق: هلموت ريتر، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1: 279.

[114] الملا علي القاري، *شرح الفقه الأكبر*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1: 86 .

[115] الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، 1: 137. البغدادي، والفرق بين الفرق، 1: 194.

[116] التفتازاني، *شرح المقاصد*، 2: 248 .

[117] [المجادلة: 22].

[118] الحجرات:14].

[119] [المائدة: 41]

[120] الدماميني، *مصابيح الجامع*، 1: 86.



الخاتمة والنتائج:

يتبين ما سبق عن حقيقية قضية الإيمان في كتاب مصابيح الجامع علي شرح صحيح البخاري للإمام العلامة القاضي بدر الدين الدماميني ولقد تناول الإمام حقيقة الإيمان من خلال الباب الأول من المجلد الأول من صحيح البخاري، وهي قضية فيها اختلاف بين العلماء خاصة في مبحث زيادة الإيمان ونقصانه وبين ووضح البحث تلك الأقوال للعلماء

وخلاصتها؛ من قال أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن الإيمان هو التصديق بالله وبرسوله، والتصديق شيء واحد لا يتجزأ، فلا يتصور كماله مرة ونقصانه أخرى، لأنه متى قبل ذلك كان شكاً وكفراً وهو قول جمهور المتكلمين، وبه قال أبو حنيفة، وكثير من العلماء [121]".

- يتضح حقيقة صحة كلام الإمام الدماميني أن الإيمان يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة وخلفها، وقال به بعض المتكلمين[122].
- فصّل الإمام الدماميني القول في زيادة الإيمان ونقصانه فقال: بأن الإيمان باعتبار حقيقة التصديق، فلا يزيد ولا ينقص، نعم هو قابل للشدة والضعف.
- وضح البحث قول أكثر العلماء أن نفس التصديق يزيد بتظاهر الأدلة، وكثرةِ النظر، وينقص بفقد ذلك، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم؛ بحيث لا تعتريهم الشبهة، ولا يتزلزل إيمانهم، وهو إذا تأملت إنما يرجع إلى القوة والضعف[123].
- بين الإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري استدلال أصحاب هذا القول بأدلة من الكتاب والسنة وأثار السلف وأقوال بعض أهل العلم : ومن الآيات: قوله تعالى : ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[124].

[121] الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، 1: 139. التفتازاني، *شرح المقاصد*، 2: 261. الملا علي القارئ، *شرح الفقه الأكبر*، 1: 126.

[122] أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، 1375هـ /1975م، *أصول الدين*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1: 252 ، البيهقي، 1401،1هـ /1981م، *الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد*، بيروت: دار الآفاق الجديدة،1: 181- 182.

[123] الماميني، *مصابيح الجامع*، 1: 88.

[124] القرآن الكريم ، الفتح: 4



﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[125]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[126]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[127]، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[128]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[129]، فدلالة الآيات واضحة على زيادة الإيمان ونقصانه .

- وضح الإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري الأدلة من السنة فاستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)[130].
- يتضح صحة ما تحدث بهِ الإمام الدماميني رحمه الله وأفرد باب عن الإيمان في كتابه مصابيح الجامع علي شرع صحيح البخاري، فتكلم عن الإيمان، والزيادة في الإيمان والانتقاص منه، وتسمية الإيمان بالقول دون العمل، ومن جعل الإيمان المعرفة بالقلب وان لم يكن عمل، وذكر ما عابت به العلماء من جعل الإيمان قولاً بلا عمل، وما نهوا عنه من مجالستهم، والخروج من الإيمان بالمعاصي.
- بين الإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري ما ختم به الإمام البخاري في صحيحه من باب الإيمان في المجلد الأول في كتابه المصابيح، بذكر الذنوب التي تلحق بالكبائر بلا خروج من الإيمان؛ تم قال: ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم؛ بحيث لا تعتريهم الشبهة، ولا يتزلزل إيمانهم، وهو إذا تأملت إنما يرجع إلى القوة والضعف.
- وضح الإمام الدماميني من خلال المصابيح، بآن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً؛ فمن أداها فقد استكمل الإيمان، ومن لم يؤدِهَا لم يستكمل الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.

وفي نهاية هذا البحث يري الباحثان بعدما تم تناوله في قضية حقيقة قضية الإيمان وزيادتهِ ونقصانه؛ للإمام الدماميني من خلال مصابيح الجامع لشرح البخاري وهو أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بعمل الطاعات وينقص بالمعاصي والذنوب، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الصالحين والصحابة الكرام رضي الله عنهم .

---

[125] القرآن الكريم ، الكهف: 13

[126] القرآن الكريم ، مريم: 76

[127] القرآن الكريم ، محمد: 17

[128] القرآن الكريم ، المدثر: 31

[129] القرآن الكريم ، التوبة: 124

[130] صحيح البخاري ، شرح القَسْطَلانيّ، برقم 44، 1: 180.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

مصابيح الجامع وهو شرح الجامع الصحيح للإمام البخاري المشتمل على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه وإعرابه، للإمام القاضي بدر الدين الدماميني المالكي، تحقيق: نور الدين طالب، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيروت: دار النوادر، 2009م.

المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية: الناشر: مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: 2004م.

صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفي سنة: 256هـ، ترقيم وترتيب: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم : أحمد محمد شاكر؛ الجيزة: مكتبة ألفا للتجارة والنشر والتوزيع 2008م، 1429هـ.

صحيح مسلم، يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، كتاب صحيح الإمام مسلم؛ دار الخير سنة النشر: 1416هـ / 1996م ، رقم الطبعة:2عدد الأجزاء: ستة.

الفتاوى الكبرى لإبن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، 1408هـ - 1987م، الناشر: دار الكتب العلمية.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، بيروت: دار صادر، الطبعة: الثالثة، 1414هـ..

ملخص فقه العبادات (الطهارة، الصلاة)، علوي بن عبد القادر السقاف، المملكة العربية السعودية: مؤسسة دار الدرر السنية، 1437هـ، 2016م..



تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.

طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة.

سير أعلام النبلاء، لشمس الدين حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة السابعة 1990/1410.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الشهير بابن قيّم الجوزية: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1418 – 1998م.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققهُ: محمد عبد الباقي، وأخرجه: محب الدين الخطيب دار الريان للتراث سنة النشر: 1407هـ / 1986م ،الطبعة الثانية.

لطائف المعارف فيما للمواسم من وظائف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب زين الدين أبو الفرج الحنبلي الدمشقي، المحقق: ياسين محمد السواس، الناشر: دار ابن كثير: سنة النشر: 1420 – 1999م..

سنن صحيح ابن ماجه، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، بيروت : دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها..

الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر؛ المحقق: مختار أحمد الندوي – عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: 1423 – 2003م..

كتاب الشريعة، أبو بكر محمد بن حسين الأجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة: الأولي، الناشر: مطابع السنة المحمدية، 1950م..



القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين،: المجلد الأول، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة ، بدون تاريخ.

شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني، المزني، أبو ابراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، ، ، تحقيق: جمال عزون، السعودية: مكتبة الغرباء الأثرية، 1415هـ / 1995م. .

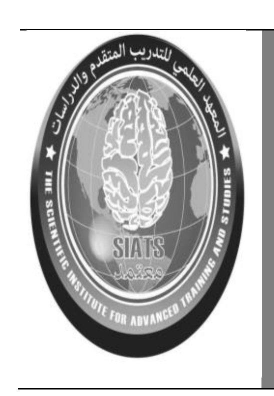
الإبانة عن أصول الديانة، ابو الحسن، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، ، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، القاهرة: دار الأنصار، 1397هـ /1977م..

نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريس الجهمية العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، 280هـ/894م، ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع 1418هـ - 1998م..

شرح المقاصد، التفتا زاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله ، باكستان: دار المعارف النعمانية، 1401هـ / 1981م..

الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، بيروت : دار المعرفة - ، 1404م، تحقيق : محمد سيد كيلاني..





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 1،كانون الثاني ،يناير 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

THE TERMS AND CONDITIONS OF PAYING THE SHARES IN ISLAMIC LAW

جباية أموال الزكاة: غامبيا نموذجا

أبو بكر برو

د. عزمان عبد الرحمن

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

barrowabubacarr@gmail.com

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 22/9/2016
Received in revised form 9/10/2016
Accepted 25/11/2016
Available online 15/1/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

Zakat is one of the fundamentals of Islam. It is solely a divine system, and a means of enhancing societal unity and solidarity. It works towards bridging the gap between the rich and the poor. Islam is a religion of justice and equity, and a way of mutual inter-relationship, affection and compassion. Almighty Allah prescribes Zakat and makes it a means of upholding an Islamic society based on having sympathy for one and other. The society where there would not be a sense of class difference among the populace. Zakat is made as one of the revenues for boosting socio-economic and financial system; it thus, enhances all the welfares on which the life and success of the nation are based. In Islam, it is likened to an arch, having a great role to play in many aspects of the religion. Therefore, its collection is considered to be a national responsibility. It is the duty of the nation, not meant to be carried out by the individuals; because Zakat is not meant for an individual welfare or regarded a partial charity. Rather, it is the foundation for the formation of socio-economic and political system. It is one of the obligations that the government of the nation monitors. Referential evidence to this in the Quran goes thus: "*Take alms from their wealth in order to purify them and sanctify them with it, and invoke Allah for them. Verily, your invocation is a source of security for them; and Allah is All-Hearer, All-Knower*".[1] Also, "*those (Muslim rulers) who, if We give them power in the land, (they) perform Salat (Prayers) and pay the Zakat and they enjoin all the Islamic virtues, and forbid all forms of vices. And with Allah rests the end of all matters*".[2] The foregoing verses are regarded as evidence that the national government is responsible for

[1] Al-Quran. At-Taubah 9: 103.
[2] Al- Quran. Al-Hajj 22: 41.



the collection and distribution of Zakat wealth among its legal stakeholders, according to the Islamic rulings. Thus, it is one of the most important responsibilities of the nation. Meanwhile, the Republic of Gambia has a means of collecting and distributing Zakat wealth to its legal stakeholders.



الملخص

الزكاة ركن عظيم من أركان الإسلام، ونظام ربانيّ فريد، وسيلة من وسائل تعزيز الألفة والتكافل الاجتماعي، وهي تعمل على تضييق الفجوة الطبقي بين الأثرياء والفقراء، فالإسلام دين عدل ومساواة، ومنهج تكافل ومودة ورحمة، فالله سبحانه وتعالى شرع الزكاة وجعلها سببا لقيام المجتمع المسلم المتراحم، المجتمع الذي لا يكثر فيه التفاوت الطبقي بين أبنائها، وجعلها موردا من موارد تعزيز النظام الاقتصادي والمالي والاجتماعي، كماجعلها سببا لإقامة مصالح العامة لهذه الأمة، المصالح التي تتوقف عليها حياتها وسعادتها ، وهي قنطرة الإسلام، تلعب دورا كبيرا في عدد من المجالات الإسلامية، فجبايتها من مسؤوليات الدولة واختصصاتها، فهي واجبة الدولة وليست حقا موكولا للأفراد، لأنّ الزكاة ليست مصلحة فردية، ولا إحسانا جزئيا، بل هي عماد وأساس نظام اجتماعي واقتصادي وحتى السياسي. فهي من الواجبات التي تشرف عليها الحكومة (الدولة)، والدليل في ذلك قوله تعالى:{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[3]، وقوله:{ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }[4]، فاللآيات السابقة تعدّ دليلا عن مسؤولية الدولة بجمع الزكوات وتوزيعها إلى أصحابها الشرعيين، وفق ضوابط الشريعة الإسلامية، فهي من أعظم وأهمّ مسئوليات الدولة، فجهورية غامبيا فيها وسائل يتم من خلالها جباية الزكاة وتوزيعها إلى أصحابها الشرعيين.

[3] القرآن. التوبة9: 103

[4] القرآن. الحج22: 41



المقدمة

الزكاة فرض من فرائض الله، وركن من أركان الإسلام، وقد ورد ذكرها مقترنة بالصلاة في كثير من الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ}[5]، وقوله: {وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[6].

فهي عماد النظام الاقتصادي والمالي، والاجتماعي، والسياسي، جاءت لتحارب الفقر والكنز، والبطالة في المجتمع الإسلامي، من خلال تطبيقها، وهي فريضة الله على كل مسلم ملك نصابا من مال بشروطه، وأخذها النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بأخذها ممن تجب عليه، امتثالا لأمر ربّه، حيث قال تبارك وتعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}[7]، لما في ذالك من حكم سامية، وأهداف نبيلة، التي لا نستطيع أن نحصيها، وهي سبب لتطهير المال وتنميته، وإحلال البركة فيه، وذهاب شره ووبائه، وتقيه من الآفات والفساد، وتطهّر المزكّي من الشح والبخل، وأرجاس الذنوب والخطايا وغيرها من الفوائد.

وقد حدد الله سبحانه وتعالى أهلها في قوله: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[8]. ولاريب أنّ القيام بإدارة شؤون الزكاة وفق الشريعة الإسلامية وضوابطها كفيل بحلّ مشكلة المجتمع الاسلامي من الفقر وغيره.

فجباية الزكاة من اختصصات الدولة ومسئولياتها في الفقه الإسلامي، ففي جمهورية غامبيا فيها عدد من الوسائل والطرق التى يتم من خلالها جمع الزكوات من أربابها ثمّ تفريقها إلى أصحابها الشرعيين.

إدارة شؤون الزكاة في غامبيا

نظرا لأهمية إدارة شؤون الزكاة ولأهمية أعمال تحقيق وتحصيل أموال الزكاة وصرفها إلى أصحابها الشرعيين، يجب على كل دولة إسلامية تشكيل أو إنشاء جهة عامة على مستوى الرسمي متخصصة ومتفرغة لإدارة شؤون الزكاة، كما يجب أن

---

[5] سورة البقرة2: 43

[6] سورة البقرة 2: 110

[7] سورة التوبة9: 103

[8] سورة التوبة 9: 60



يكون لهذه الجهة شخصية معنوية مستقلة وقانون خاصة لإدارتها يستند إلى مبادئ الشريعة، حفظا لكرامة الفقراء والمساكين ومن في حكمهما، وحفظا لأمن الدولة واستقرارها، فإدارة الزكاة من مسؤولية الدولة، قال تعالى :{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[9].

فالله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأخذها على كلّ مسلم ملك نصاب من مال بشروطه، فالخطاب هنا عام وموجه إلى جميع الحكام الذين جاؤو بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فلزام على جميع الحكومات الإسلامية القيام بإدارة شؤون الزكاة وفق الشريعة الإسلامية وضوابطها لما في ذلك من كرامة وصيانة لأبناء المجتمع خاصة الفقراء والمساكين ومن في حكمهما.

وللأسف الشديد فغامبيا ليس فيها جهة متخصصة رسمية وقانونية تتولى إدارة شؤون الزكاة، ولكن هناك جهة تتولى شؤون المسلمين، مايسمى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا،

.(The Gambia Supreme Islamic Council)

فقد بين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا ومنذ اطلاقته عام 1992م أهدافه وأمنيته المستقبلية وشخص معالم تحركه، ووضع الأسس التي يمشي عليها لتحقيق أهدافه وغايته النبيلة، وجعل شعاره قول الله تعالى:{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[10].

فقد جعل المجلس هذه الآية الكريمة شعاره، وهذا يعدّ دليل لصدق نيته واهتمامه بأمور المسلمين في غامبيا، ومحاولة العمل على وحدتهم. وعلى هذا الأساس فقد جعل المجلس في أهدافه وأمنيته المستقبلية إقامة المناسبات والمؤتمرات والدورات السياسية الإسلامية الميمونة، لأجل تحقيق أهدافه السامية النبيلة، وهو وحدة المسلمين وخدمتهم في عالمنا الإسلامي عامة وفي غامبيا خاصة [11].

[9] القرآن. التوبة.9: 103

[10] القرآن. آل عمران. 3. 103

[11] مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا. 2014م. دستور مجلس الأعلى في غامبيا. د.ن. ص.2.



فالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا، قد أنشئ لخدمة المسلمين ومساعدتهم في كلّ ما يتعلق بأمور الدين، وتتجلى ذلك في ما قام به المجلس من الأعمال والخدمات التي قدم للمسلمين في غامبيا، ومن هذه الخدمات تشكيل أو إنشاء اللجنة الزكاة والأعمال الخيرية في غامبيا، إلاّ أنّ هذه اللجنة غير رسمية، وشخصيتها المعنوية غير مستقلة مادياً وإدارياً ولا يستند قانون إنشائها وإدارتها إلى سلطة قانونية ملزمة التي تجبر الناس وتلزمهم بأداء زكواتهم ودفعها إلى اللجنة.

أسماء أعضاء هذه اللجنة ومناصبهم

لجنة الزكاة والأعمال الخيرية تتكون على ثمانية أعضاء وهي مايلي:

1-الشيخ/ محمد الأمين كانتي رئيس اللجنة . 2- الشيخ/ سيديا سيس نائب الرئيس. 3-الشيخ/ انفامرا كمارا سكرتيرا. 4- الشيخ/ إبراهيم جغنا نائب السكرتير. 5-الشيخ/ مصطفى جالو مشرف الأ قاليم. 6- الشيخ/ عيسى جاورا أمينا الصندوق. 7-الشيخ/ دمبو توري نائب أمين الصندوق. 8- الشيخ/ عثمان جاك أمين الإتصال الخارجي.[12]

فهؤلاء هم أعضاء اللجنة الزكاة والأعمال الخيرية التي أنشأها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا، ولكن الباب مفتوح للجميع، لأنّ المجلس دائما يطلب المشاركات والاقتراحات والتوصيات من الأساتذ والأئمة والخطباء، لكي ينضموا إلى هذه اللجنة الخيرية خدمة للمسلمين عامة وللفقراء خاصة في مجتمع غامبيا.

أعمال اللجنة:

أعمال اللجنة تتجلى في النقاط التالية:

1-توعية المسلمين عن أهمية الزكاة في مجتمع غامبيا. 2- حث الأغنياء وكلّ من ملك نصاب من مال بشروطه من المسلمين لأداء فريضة الزكاة. 3- رصد مستحقي الزكاة وحصرهم- ما أمكن-في محضر. 4- صرف أموال الزكاة إلى أصحابها الشرعيين بقدر الموجود. 5- الصرف على أصحاب الحاجات الطارئة. 6- السعي إلى إيجاد مصدر مالي مأمون.[13]

[12] المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا. 2008/11/6م. *رسالة بدء العمل*. غامبيا. د.ن. ص.2.

[13] المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا. 2008/11/6م. رسالة بدء العمل. ص .2.



فإنّ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا، يقوم بحسب قدرته ونشاطه بالتوعية النظرية والعملية لهذا الركن العظيم، فالمجلس يطلب دائما ويرجوا من جميع الدعاة والأئمة والأساتذة والخطباء بذل جهدهم في توعية المسلمين بأهمية هذا الركن في المجتمع، وبيان خطورة تركها وتضييعها بأنّ ذلك يؤدي إلى هدم كيان المجتمع، لأنّ كثيرا من الأغنياء لا يؤدون زكاة أموالهم كما ينبغي وهذا شيئ خطير جدا يجب وقفه.

فالباحث لما علم أهداف المجلس وأمنياته المستقبلية أول شيئ خطر على باله وتمنى به هو أن يكون المجلس جهة متخصصة تتولى شؤون الزكاة، أعني أن تختاره الحكومة لتكون مؤسسة رسمية ومتخصصة ومتفرغة لشؤون الزكاة وكل ما يتعلق بأمور المسلمين في غامبيا.

مفهوم الجباية

الجباية في اللّغة: هي معنى الحصيلة هي الجمع والتّحصيل يقال: جبي: جبيت الخراج جبايةً، أي: جمعته وحصّلته وجباية الزكاة جمعه وتحصيله، كمايقال جبيت المال والخراج أجبيه جباية، جمعته و حصلته، والجابية حوض ضخم والجابي: هو الّذي يجمع الزكاة والخراج، وكذلك يجمع الماء للإبل ، والجباوة: اسم الماء المجموع، الاجتباء، افتعال من الجباية: وهو استخراج الأَموال من مظانها.[14].

إذن فالجباية، هي: إقتطاعات نقدية أو مالية تقووم بها الإمام أو الحاكم(الدولة) على الأفراد لتغطية نفقات الدولة وتكون على شكل ضريبة أو رسم.

الألفاظ ذات الصلة بالجباية

1- الحساب[15]. 2- الخرص[16]. 3- العرافة[17]. 5- الكتابة: تقييد ما يدفعه أرباب الأموال من الصّدقة[18].

---

[14] ابن منظور. جمال الدين. 1414 هـ. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر. ج.14. ص. 127. الفراهيدي. الخليل ابن أحمد. د.ت. *كتاب العين*. د.م. دار ومكتبة الهلال. ج.6. ص.192.

[15] الحساب هو العمل الّذي يحتاج إليه في ضبط المال الّذي يجمعه الجباة، ومعرفة مورده ومصرفه. بمعنى إحصاء المال وعدّه. وهو من وسا ئل ضبط الجباية.

[16] التقدير ما على النّخل ونحوه من ثمر، بالظّنّ.

[17] تدبير القوم والقيام على سياستهم. والعريف عند الفقهاء هو الّذي يعرّف الجابي أرباب الصّدقات إذا لم يعرفهم.

[18] الزمخشري. جار الله. 1419 هـ - 1998 م. *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية. ج.2. ص.121.



وهذه الألفاظ لها صلة قوية بالجباية، لأنّ الجابي أو الساعي ينبغي أن يكون عالما بالحساب، لأنّه يحتاج إلى إحصاء الأموال التي يجمعها، وعدها وضطبها، ولا يستطيع القيام بهذا كلّه إلاّ إذا كان ملّما بعلم الحساب. وكما يجب أن يكون جيدا في التقدير، وذو خبرة و ثقافة في تدبير الناس و سياستهم.

وسائل جباية أموال الزكاة في غامبيا

ومن المعروف أنّ غامبيا لا يوجد فيها قانون ملزم أو نظام تشريعي خاص بالزكاة، أو جهة رسمية متخصصة ومتفرغة لجمع الزكاة وصرفها إلى أصحابها الشرعيين، ولكن هناك ثلاث طرق أو وسائل، التي من خلالها يتم جمع الزكاة وتوزيعها إلى مستحقيها، ويمكن تفصيلها على النحو التالي.

أولا: توعية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا للمسلمين بأهمية الزكاة، وحثهم بدفع زكواتهم إلى المجلس، لكي يقوم المجلس بتوزيعها إلى مستحقيها، وهذه من إحدى الوسائل التي يتم بها جمع الزكاة وتحصيلها في غامبيا، فبعض المزكين يقومون بدفع زكواتهم إلى المجلس، لأنّ المجلس أحيانا يقوم بتوعية الناس بأهمية الزكاة، وحضهم على أدائها. وأخبر رئيس المجلس الباحث بأنّ المجلس يهتم بأمور المسلمين، خاصة الفقراء و المساكين ومن في حكمهما، بأنّه من ضمن أمنيات المجلس المستقبلية إنشاء بيت المال للمسلمين، توضع فيه زكواتهم، ثمّ تصرف إلى أصحابها الشرعيين[19].

هذه الوسيلة التي تستخدمها المجلس لجمع الزكوات تشبه الوسائل التقليدية، التي كانت موجودة في العصور الماضية، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، و الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم. أعني بالوسائل التقليدية: الوسائل التي تعين الهيئات واللجان، والتي تحتاج إليها السعاة والجباة لجمع أمول الزكاة من أربابها. فالنبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، كانوا يرسلون السعاة والولاة لجباية أموال الزكاة وصرفها إلى أصحابها الشرعيين.

فالمجلس لم يقم بإرسال الجباة لجمع الزكوات، لعدم وجود قانون أو نظام تشريعي خاص بذلك، ولكن المجلس يقوم بتوعية الناس عن أهمية الزكاة، والسعي إلى إيجاد مصدر مالي مأمون لهم، ومن ثمّ يقوم بعض المزكين بدفع زكواتهم إلي المجلس، وهذه وسيلة من وسائل جمع أموال الزكا لدى المجلس في غامبيا. وفي الحقيقة أنّ هذه الصورة تشبه الصورة التي كانت موجودة في العصور الماضية مع تغييرات بسيطة بينهما. فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذ بن جبل لما أرسله

[19] الأمين توري، رئيسس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. 2016/10/3م. مقابلة شخصية شفوية. غامبيا: في المجلس الأعلى . للشؤن الإسلامية.



إلى اليمن بتوعية الناس وتعليمهم بوجوب الزكاة وأهميتها، وأخذها من الأغنياء ثمّ تفريقها إلى الفقراء، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم".[20].

فالمجلس الأعلى للشؤن الإسلامية في غامبيا أهتم بهذا الجانب الحيوي و الجوانب الأخرى من فرائض الشريعة الإسلامية.

فالمجلس شكل لجان لمتابعة أحوال المسلمين في الدولة، و من هذه اللجان لجنة الزكاة و الأعمال الخيرية التي كلفت ببحث موضوع الزكاة و تقديمها إلى المجلس. ولكن للأسف الشديد بأنّ هذه اللجان غير رسمي، لأنّها شكلت وأنشئت بدون قانون أونظام تشريعي خاص بها.

فقد سأل الباحث رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا، عن كيفية جمع الزكاة و توزيعها لدى المجلس؟ فأجاب بأنّ المجلس يقوم بتوعية الناس وحثّهم على أداء الزكاة، ودفعها إلى المجلس، لكي يقوم المجلس بتوزيعها إلى مستحقيها، لكن الذين يقومون بدفع زكواتهم إلى المجلس قليل جدّا، وذلك لعدم وجود سلطة، أو قانون ملزم خاص بالزكاة (الشيخ الأمين توري، 2016/10/3م)[21]. وكما سأل الباحث نائب الثاني لرئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عن نفس السؤال، فأجابه بمثل ما أجاب الرئيس المجلس، وأضاف في ذلك بأنّه لابدّ بجولة ميدانية لتوعية الناس أكثر وتذكيرهم بأهمية الزكاة ومكانتها في الدين،(الشيخ إبراهيم جاجو)،[22]. وكما قابل الباحث الأمين العام للمجلس، فسأله عن سبب قلة المزكين الذين يقون بأداء زكواتهم ودفعها إلى المجلس، مع أنّ هناك عدد كبير لايدفعون زكواتهم إلى المجلس؟ فأجابه، بأنّ السبب هو عدم وجود جهة رسمية متخصصة تتولى شؤون الزكاة، وعدم وجود سلطة قانونية (دكتور أمباي كيبا كاه، 2016/10/3م)[23].

[20] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب وجوب الزكاة. ج.2. ص.104. رقم الحديث. 1395.

[21] الأمين توري، رئيسس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. *مقابلة شخصية شفوية*. في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – غامبيا.

[22] إبراهيم جاجو، النائب الثاني لرئيسس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. *مقابلة شخصية شفوية*. غامبيا: في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

[23] أمباي كاه، الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا. *مقابلة شخصية شفوية*. غامبيا: في المجلس الأعلى للشؤون لإسلامية في غامبيا



فقد تبين للباحث بعد مقابلتة لهؤلاء الشيوخ، بأنّ المجلس ليس جهة متخصصة ومتفرفقة لقضايا الزكاة، وحتى اللجنة التي شكلها المجلس غير نشطة، لعدم اهتمام الناس بدفع زكواتهم إليها، وذلك لعدم وجود تشريع خاص باللجنة. ولذا فإن الباحث يرى أنّه من الضروري أن يتدخل الحكومة في هذا الشأن، وكما يرى أنّه يجب على جميع الدعاة والأئمة

والخطباء والأساتذة أن يبذلوا جهدهم في تو عية الناس بأهمية هذا الركن في المجتمع الغامبي، وبيان الأموال التي يجب فيها الزكاة وبيان أنصبتها ومواقيتها، وكيفية إخراجها للمسلمين في كلّ وقت لا في موسم معين، لأنّ معظم المسلمين لايدرون أنّ في أموالهم زكاة، ولايشعرون بذلك، فهم يحتاجون إلى إعلام قوي، وتذكرة لطيفة متصلة، وتنبيه دائم، لأنّ الله أمرنا بذلك حيث قال:{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}[24].

ثانيا: الوكالة

فالوكالة من ضمن الوسائل التي يتمّ بها جمع الزكاة وصرفها في غامبيا، وقبل أن يتطرق الباحث في الحديث عن هذه الوسيلة وكيفيتها، يودّ أن يتطرق في الحديث عن مفهوم الوكالة لغة واصطلاحا.

الوكالة: معناها في اللغة الحفظ والكفاية والضمان، يقال فلان وكيل فلان، بمعنى حافظة أو ضامنة أو كافية. واصطلاحا: هي استنابة شخص جائز التصرف شخصاً مثله جائز التصرف فيما تدخله النيابة من حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين[25].

الوكالة جائزة بإجماع العلماء فلم ينقل عن أحد منهم بمنعها.

وقال ابن قدامة: "وإذا كان في إخراج الزكاة، ونوى عند الدفع إلى الوكيل ونوى الوكيل عند الأداء، جاز"[26]

فبعض المسلمين في غامبيا يوكلون الأئمة والعلماء بأداء زكواتهم وتوزيعها إلى مستحقيها، وكما أنّ هناك طريقة أخرى، تشبه الجباية، وهي أنّ الوكيل عالما كان أم غيره، يكون بينه وبين المزكي موعد في كلّ نهاية السنة، وذلك عهد بينهما، أن يأتيه الوكيل في نهاية كلّ سنة، وفي شهر معين، ليجمع ماعنده من الزكاة، ليوزعها إلى أصحابها الشرعيين، لأنّ المزكي

---

[24] القرآن.الذاريات 51: 55

[25] لجزيري. عبد الرحمن بن محمد عوض. 2003م. *الفقه على المذاهب الأربعة*. بيروت: دار الكتب العميلة.ج.3.ص. 148.

[26] ابن قدامة.1994م. *الكافي في فقه الإمام أحمد*. بيروت: دار الكتب العلمية. ج.1.ص.417.



غير مفقه في فقه الزكاة، فدلا يميز مستحقي الزكاة عن غيرهم. فإنّ عدم وجود جهة رسمية متخصصة تقوم بمسؤولية جمع الزكوات وتفريقها إلى أصحابها في الدولة، يجعل بعض المزكين يوكلون غيرهم في أداء زكواتهم.

ثالثا: التطبيق الفردي

إنّ عد وجود جهة أو هيئة رسمية متخصصة تتولى جباية أموال الزكاة وصرفها إلى أصحابها الشرعيين في غامبيا، جعل معظم المزكين يقون بأداء الزكاة بأنفسهم، طوعا واختيارا، وأداء الزكاة في غامبيا غالبا يتم على مستوى الأفراد، لأنّ الأمر متروك للفرد حسب إيمانه. وأمّا المزكون في العصور الماضية كانوا يقومون بأداء زكواتهم ودفعها إلى السعاة الذين يذهبون إليهم لجمعها وتحصيلها. وأمّا أغلب المزكين في غامبيا يقومون بأداء الزكاة بأنفسهم، لعدم وجود هيئة رسمية متخصصة لذلك. فإنّ إرسال الجباة ليس أمر موكولا للأفراد، إنما هو حقا موكولا للدولة.

فهذه الوسائل، هي الوسائل التي من خلالها يتم جمع الزكاة وصرفها في مجتمع غامبيا(توعة المجلس والوكالة)، ولذلك فالباحث يرى أنّ هذا الأمر يعني جباية الزكاة، لايتم إلاّ بوجود سلطة قانونية، وبوجود نظام تشريعي خاص بالجباية.

الخاتمة

إن تطبيق نظام الزكاة في المجتمع الإسلامي جباية وتوزيعا تجعل الأمة تعيش في أمن وسلامة، ومحبة وتكافل، لأنّ تطبيق نظام الزكاة وفق الشريعة الإسلامية كفيل لحلّ مشكلة الأمة بأنواعها المختلفة، لأن الزكاة عماد النظام الاقتصادي والمالي، والاجتماعي، والسياسي، جائت لتحارب الفقر والكنز، والبطالة في المجتمع الإسلامي، فالزكاة أمانة الله على العباد، والأمانة كما هو معلوم من أفضل القيم الاسلامية أهمية للحياة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو سياسية، أو أسرية. ولذا كان لها اهتمام كبير في القرآن الكريم، وفي سنة المصطفي صلى الله عليه وسلم، حيث جعله شرط للإيمان والصلاة والزكاة. فالزكاة من أكبر الأمانات، ولذا تولى الله سبحانه وتعالى بذكر أهلها في القرآن الكريم، وحددهم تحديدا بالغ، وذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم لنا في أكثر من مرة. فالأصناف محددة بالنص القطعي، ولذا كانت الدراسات النظرية محدودة، ولكن لو تطرقنا النظر إلى الموارد الزكاة في القرآن والسنة النبوية صلى الله عليه وسلم لوجدنها غير محدودة



بل مطلقة فقد أطلقه الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[27]، فالله سبحانه وتعالى لم يشرع الزكاة بدون قوانين وضوابط، بل شرعها أصلا

مبنية على الضوابط والقوانين الإلهي، ممّا ينبغي لكلّ مجتمع مسلم تطبيقها. كما أنّ التطبيقات النظرية في هذا العصر أكثر من التطبيقات العملية، والزكاة لاتصل إلى غاياتها القصوى والسامية إلاّ بتطبيقها تطبيقا عملية معاصرة، وفقالضوابط الشريعة الإسلامية، فجباية الزكاة من اختصصات الدولة ومسؤوليتها، لأنّ مستحقي الزكاة من المحتاجين الفقراء والمساكين لاحول لهم ولاقوة ولذا لم يكلفهم الله بأخذها من الأثرياء، لأنهم غير قادرين على ذلك، وهذا مسؤولية الحكومة، فالدولة إذا تغافلت عن تطبيق الإسلام والعمل بشريعته، وتجاهلت عن مسؤولية شؤون الزكاة، فالمجتمع حينئذ لابدّ أن يعاني بالفقر والبطالة، لأنّ الزكاة أساس النظام الإقتصادي والمالي، وغيرهما، جائت لتنقذ الأمة من الفقر.

المصادر

القرآن الكريم

بخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. 1422هـ. صحيح البخاري.د.م. دار طوق النجاة.

ابن منظور. جمال الدين. 1414 هـ. لسان العرب. بيروت: دار صادر

فراهيدي. الخليل ابن أحمد. د.ت. كتاب العين. د.م.د.ن. دار ومكتبة الهلال

زمخشري. جار الله. 1419 هـ - 1998 م. أساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قدامة.1994م. الكافي في فقه الإمام أحمد. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد عجاج كرمى. 1427 هـ. الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. القاهرة: دار السلام.

الجزيري. عبد الرحمن بن محمد عوض. 2003م. الفقه على المذاهب الأربعة. بيروت: دار الكتب العميلة.

محمد بكري عبد العليم.2007م. مبادئ إدارة الأعمال.د.م. د.ن.

[27] سورة التوبة9: 103



أغادير.سالم العيدروس. د.ت. مقدمة في الإدارة. سعودية: وزاة التربوية و التعليم، جامعة أم القرى.

مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا. 2014م. دستور مجلس الأعلى في غامبيا. د.ن.

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا. 2008/11/6م. رسالة العمل. غامبيا:د.ن.

مقابلة شخصية

لأمين توري، رئيسس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. 2016/10/3م. مقابلة شخصية شفوية. غامبيا: في المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية.

إبراهيم جاجو، النائب الثاني لرئيسس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. مقابلة شخصية شفوية. غامبيا: في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

أمباي كاه، الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في غامبيا. مقابلة شخصية شفوية. غامبيا: في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 1،كانون الثاني ،يناير 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

'AHKAM WASHURUT DAFE ALSSAYIL FI ALSHARIE AL'IISLAMII .
" ALAY 491 MIN SURAT ALBUQRA "

أحكام وشروط دفع الصائل في الشريعة الإسلامية.

" الآية 194 من سورة البقرة "

أ.الشيماء محمد المليان.

د.روزمان محمد نور.

أكاديمية الدراسات الإسلامية/جامعة ملايا.

shimoo.moha@yahoo.com

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 12/8/2016
Received in revised form 8/10/2016
Accepted 19/11/2016
Available online 15/1/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

Allah has given human beings, the right to live a decent life, and warned the assault on the sanctities other than a legitimate right. It is not the right of any human being to take away the rights of other human beings by utilizing his/her status and authority that Islamic Shari'ah has given to all human beings. Furthermore, the law sanctioned the right of people and individuals groups to defend their sanctities; self-defense, the recovery of their usurped rights, responded aggression, the injustice of the oppressors, shedding of their blood, and the loss of lives. Islamic law has been emphasized, to resolve all issues that hurt the rights of any human being with justices. Justices is the basis principle of the Islam. The cranny of Islamic law is to be tolerant but in case of violating the Islamic law and hurting other human beings, Islamic law has formulated a clear path to deal these kind of cases, though the tolerance is one of the most important and basic principle of Islamic principles.



الملخص

لقد أعطى الله_عز وجل _ لكل إنسان الحق في الحياة والعيش الكريم، وحذر من الاعتداء على شيء يمس حرماته بغير حق شرعي، فليس لأحد مهما كانت مكانته وسلطانه أن يسلب إنساناً حقوقه التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها، لذا الشريعة مقرة لحق الناس جماعات وأفرادا في الدفاع عن حرماتهم، وحفظ أمنهم، واسترداد حقوقهم المسلوبة، ورد عدوان المعتدين، وظلم الظالمين، ولو أدى إلى سفك دمائهم، وإزهاق أرواحهم ، وفي هذا غاية الإنصاف والعدل، الذي هو أساس الدين الإسلامي، وركن الشريعة الإسلامية السمحة، من هذا المنطلق ظهر مبدأ دفع الصائل المتعلق بحق الإنسان في الدفاع عن نفسه وحرمته وماله ودينه، ويعد هذا المبدأ من أهم وأسمى المبادئ الإسلامية السمحة.

الكلمات الدلالية للبحث : الحق الشرعي، الإسلام، الدفع، الصائل.



التمهيد.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام عل أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، لقد بينت الشريعة الإسلامية السمحة أن دفع الصائل هو حق وواجب ،كما ميزت بين الدفاع الحق والدفاع الواجب، لذا حدد دفع الصائل وعرفته بالدفاع الشرعي الخاص كونه لم يكن عقاباً يقع على المعتدي وإنما هو دفع لعدوانه، فهو واجب الإنسان في حماية نفسه أو نفس غيره، وحقه في حماية ماله أو مال غيره من كل اعتداء حال غير مشروع بالقوة اللازمة لدفع هذا الاعتداء، وأطلقت الشريعة الإسلامية عليه اصطلاح (دفع الصائل)، وعلى المعتدي صائلاً والمعتدى عليه مصولاً عليه، لذا بالرجوع إلى مبادئ الشريعة الإسلامية الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يصل الإنسان إلى تحقيق السعادة والأمن والسلام مع نفسه ومع غيره من البشر، لذا كان أساس العلاقات بين الشعوب هي السلام،وما الحرب إلا ضرورة يفرضها حق الدفاع عن النفس وعن العقيدة الإسلامية، فالإسلام يحترم حق كل دولة في البقاء والسيادة، وفي الدفاع عن أراضيها وسيادتها، فضلاً عن أن الإسلام لا يجيز للمسلمين أن يعتدوا على أحد، لكنه لا يجيز لهم أن يستسلموا باسم السلم والأمن لدولة غير مسلمة، أو أن يظل المسلمين يتعرضون للاعتداء من قبل الدول المعادية ويستسلموا لذلك، إنما أقرت الشريعة الإسلامية السمحة دفع الصائل ورد اعتداءه عن نفس الدافع أو ماله أو عرضه لذاته المخصوصة أو لغيره بدفع الاعتداء على نفس الغير أو ماله أو عرضه، عملاً بالآية رقم (194) من سورة البقرة، ولقد عمل الرسول الكريم_ عليه الصلاة والسلام_ بهذه الآية وقام بتطبيقها في عدة مناسبات،ولا خلاف بين الفقهاء في أن دفع الصائل هو تشريع لحماية الإنسان لنفسه ولغيره وللمال وللعرض، لكنهم قد اختلفوا في التكييف الشرعي لدفع الصائل.

ومن خلال هذه الدراسة سيتم التعريف بدفع الصائل "حقاً وواجباً"، فضلاً عن بيان شروطه ونطاقه، والعقاب في حالة تجاوز الدفاع، وحالة التكييف الشرعي للدفاع الشرعي الخاص، من خلال بيان وتفسير الآية الكريمة (194) من سورة البقرة، واستعراض الأحاديث النبوية الشريفة و آراء فقهاء الأمة الإسلامية بالخصوص.



إشكالية الدراسة.

تكمن مشكلة الدراسة في الكشف عن المعنى الحقيقي لدفع الصائل وشروطه في الإسلام، والذي ذكر في الآية الكريمة "194" من سورة البقرة، في القرآن الكريم، وغرض الباحثة من ذلك هو إثبات أن الإسلام هو دين يهدف لتحقيق العدل والإنصاف بين الناس، وليس هدفه العدوان كما يرى المستشرقين والغربيين.

أسئلة الدراسة.

من خلال هذه الدراسة، سيتم الإجابة عن التساؤلات التالية :ـ

1ـ ما المقصود دفع الصائل ؟

2ـ ما الدفاع الشرعي الخاص في الشريعة الإسلامية ؟

3ـ ما شروط دفع الصائل في الشريعة الإسلامية ؟

4ـ ما حكم دفع الصائل ومشروعيته في الشريعة الإسلامية ؟

أهداف الدراسة.

تهدف الدراسة إلى التالي :ـ

1ـالتعريف بأحكام الشريعة الإسلامية التي تتعلق بدفع الصائل "أو حق الدفاع الشرعي" وتعريفه.

2ـإبراز شروط وأحكام دفع الصائل كما نص عليها في الشريعة الإسلامية.

3ـإبراز الحكم الشرعي بدفع الصائل، ومشروعية دفاع المرء عن نفسه وحرمته وماله ودينه من كل اعتداء جائر.

أهمية الدراسة.

تتمثل أهمية الدراسة في التالي :ـ

1ـ التأصيل الشرعي والفقهي لدفع الصائل في الشريعة الإسلامية.

2ـ تفسير الآية الكريمة"194" من سورة البقرة، الخاصة بدفع الصائل "الدفاع الشرعي الخاص".

3ـ إبراز مشروعية وجواز دفع الصائل في الشريعة الإسلامية والحكمة من ذلك.



مصطلحات ومفاهيم الدراسة.

1_ أحكام الشريعة الإسلامية : هي (مجموعة من الأحكام والقواعد الشرعية التي سنها الله _عز وجل_ لعباده، والتي بلغت عن طريق الرسل، وتحتوي على ما ينظم علاقة الإنسان بنفسه ثم بربه، ثم أخيه الإنسان، وبالجماعة التي يعيش فيها).[1]

2_ حق الدفاع الشرعي الخاص[2] : هو (حق أباحته الشريعة الإسلامية، وأطلقت عليه اسم "دفع الصائل" وهو حق لمن يعتدي عليه أن يرد الاعتداء سواء تعلق الأمر بنفس المعني أو ماله أو عرضه، أو نفس الغير أو ماله)،[3] والذي سيتم بيانه في هذا البحث.

الدراسات السابقة.

1_ حالات الدفاع الشرعي "دفع الصائل"، محمد أحمد عبد الله الخولاني، دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، سنة 2008_2009م.

2_ دفع الصائل (مشروعيته، شروطه، حكمه، ضمان الفعل)، الحسين بن محمد شواط، عبد الخالق حميش، دراسة نشرت بتاريخ 11_6_2014م، على موقع الألوكة الشرعية.

3_ الدفاع الشرعي الخاص (دفع الصائل) في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة مع القانون الدولي، زياد حمدان محمود ساخن، دراسة ماجستير، سنة 2008م.

4_ دفع الصائل في الفقه الإسلامي، أبو عمر المقدسي، دراسة نشرت بتاريخ 2009/12/31م.

تميزت الدراسات السابقة بإبراز أحكام الشريعة الإسلامية فيما يخص بالدفاع الشرعي الخاص، الذي أطلق عليه اصطلاح "دفع الصائل"، والاستدلال بالأدلة الشرعية من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وأحكام فقهاء الأمة الإسلامية، وسيتم من خلال هذه الدراسة إضافة آراء فقهاء المسلمين المعاصرين كالشيخ ابن عثيمين، ابن الباز، رحمهم الله تعالى، بالاعتماد على الآيات القرآنية الدالة على ذلك.

---

[1] محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ط18، دار الشروق، القاهرة، 2001م، ص10.

[2] وأطلق عليه هذا الاصطلاح تمييزاً له عن الدفاع الشرعي العام، وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أشكاله وأنماطه المختلفة.

[3] انظر الشيخ عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، 1374هـ، ص 473.



منهج الدراسة.

اعتمدت الباحثة في إجراء هذه الدراسة على كلاً من :ــ

1ــ المنهج الاستقرائي : من خلال التركيز على الأدلة القرآنية المتمثلة في الآية الكريمة "194" من سورة البقرة، وأمثلة للأحاديث النبوية المتعلقة بدفع الصائل وأحكامه.

2ــ المنهج الوصفي التحليلي : من خلال تفسير الآية "194" من سورة البقرة، واستعراض رأي فقهاء الأمة الإسلامية (المالكية، الشافعية، الحنفية، والحنابلة) والمعاصرين بدفع الصائل، بهدف إبراز دور الإسلام في نشر الأمن والسلام في الأرض.

حدود الدراسة: سيتم التركيز في هذه الدراسة على التالي :ــ

1ــ تفسير الآية القرآنية "194" من سورة البقرة، الخاصة بأحكام دفع الصائل وشروطه.

2ــ استعراض الأحاديث النبوية الشريفة، وآراء فقهاء الأمة الإسلامية بمبدأ دفع الصائل.

محتوى الدراسة.

المبحث الأول : التعريف بدفع الصائل.

المطلب الأول : دفع الصائل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : دفع الصائل في القرآن الكريم (تفسير الآية 194 من سورة البقرة).

المطلب الثالث : دفع الصائل في السنة النبوية الشريفة.

المطلب الرابع : آراء فقهاء المسلمين في دفع الصائل.

المبحث الثاني : حكم دفع الصائل في الإسلام.

المطلب الأول : حكم الدفاع عن النفس.

المطلب الثاني : حكم الدفاع عن العرض.

المطلب الثالث : حكم الدفاع عن المال.

المطلب الرابع : حكم صيال المجنون والحيوان.

المبحث الثالث : شروط دفع الصائل في الإسلام.

المبحث الرابع : الأصل في مشروعية دفع الصائل في الإسلام.



المبحث الأول : التعريف بدفع الصائل.

المطلب الأول : دفع الصائل في اللغة والاصطلاح.

أولاً :دفع الصائل في اللغة.

1_ يعرف حق أو دفع الصائل في اللغة : دفع الصائل جملة مركبة من كلمتين (دفع) و (الصائل)، ويقصد بكلمة (دفع) كما جاءت في معجم المقاييس: الدال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تنحية الشيء، يقال دفعت الشيء أدفعه دفعاً، ودافع الله عنه السوء ودفاعاً.

أما كلمة (الصائل) فاسم فاعل من الفعل صال أي استصال، وصال عليه وثب، وصولة بمعنى وثبة، يقال : رب قول أشد من صول، والمصاولة المواثبة، وكذلك الصيال والصيالة والصولان.[4]

ثانياً : دفع الصائل في الاصطلاح.

2_ أما دفع الصائل في الاصطلاح فهو: (هو واجب الإنسان في حماية نفسه أو نفس غيره، وحقه في حماية ماله أو مال غيره، من كل اعتداء حال غير مشروع بالقوة اللازمة لدفع هذا الاعتداء).

3_ كما عرف الصائل بأنه: (كل قاصد من مسلم وذمي وعبد وحر وصبي ومجنون وبهيمة،يجوز دفعه على معصوم من نفس أو طرف أو منفعة أو بضع أو مال).[5]

إذاً فالصائل هو المعتدي على نفس الغير أو عرضه أو ماله، فيجوز للمعتدى عليه أو المصول عليه ضرورة رد هذا الاعتداء، حتى ولو أدى ذلك إلى قتل الصائل، ويسميه فقهاء الشريعة "بالدفاع الشرعي الخاص".[6]

المطلب الثاني : دفع الصائل في القرآن الكريم .

الأصل في هذا المبدأ من القرآن الكريم قوله تعالى :_

((فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)).[7]

---

[4] انظر: محمد الرازي، مختار الصحاح ، باب الدال، مادة "دفع" ص 87، وباب الصاد، مادة "صول" ص 156.

[5] انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، ص473 ، وينظر يحي بن شرف النووي، روضة الطالبين، المحقق عادل عبد الموجود، دار عالم الكتب، بيروت، 2008م، 187/10، وابن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م، 401/20.وقيل أن الصائل هو "الوثوب على معصوم بغير حق"، والبكري، إعانة الطالبين،170/4.

[6] تمييزاً له عن الدفاع الشرعي العام، وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أشكاله وأنماطه، ينظر إلى عبد القادر احنوت، دفع الصائل في الشريعة الإسلامية (أحكامه وشروطه)، مجلة البيان، مقالة منشورة بتاريخ 2011/9/21م.

[7] سورة البقرة، آية: 194.



ووجه الدلالة في الآية الكريمة أن الاعتداء على الناس في أنفسهم وأموالهم حرام أصلاً، فإذا اعتدى أحد من الناس على آخر، جاز للآخر أن يدفع عن نفسه الاعتداء بما يندفع به، حتى لو أدى ذلك إلى قتله ولم يندفع بما دون ذلك.[8]

1. تفسير ابن كثير و القرطبي للآية (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ).

هو عموم متفق عليه، إما بالمباشرة إن أمكن، وإما بالحكام، واختلف الناس في المكافأة هل تسمى عدوانا أم لا، فمن قال: ليس في القرآن مجاز، قال: المقابلة عدوان، وهو عدوان مباح، كما أن المجاز في كلام العرب كذب مباح ، لأن قول القائل: فقالت له العينان سمعاً وطاعة، وكذلك: امتلأ الحوض، وقال قطني وكذلك: شكا إلي جملي طول السرى ومعلوم أن هذه الأشياء لا تنطق، وحد الكذب: إخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، ومن قال في القرآن الكريم مجاز سمى هذا عدوانا على طريق المجاز ومقابلة الكلام بمثله، كما قال عمرو بن كلثوم: ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا، وقال الآخر: ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج ومن رام تقويمي فإني مقوم ومن رام تعويجي فإني معوج يريد: أكافئ الجاهل والمعوج، لا أنه امتدح بالجهل والاعوجاج.

واختلف العلماء فيمن استهلك أو أفسد شيئا من الحيوان أو العروض التي لا تكال ولا توزن، فقال الشافعي وأبو حنيفة وأصحابهما وجماعة من العلماء : عليه في ذلك المثل، ولا يعدل إلى القيمة إلا عند عدم المثل، لقوله تعالى :(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)، وقوله تعالى: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ،[9] قالوا : وهذا عموم في جميع الأشياء كلها، وعضدوا هذا بأن النبي صلى الله عليه وسلم حبس القصعة المكسورة في بيت التي كسرتها ودفع الصحيحة، وقال:"إناء بإناء وطعام بطعام"، أخرجه أبو داود قال: حدثنا مسدد حدثنا يحي وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا خالد عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم قصعة فيها طعام، قال: فضربت بيدها فكسرت القصعة، قال ابن المثنى : فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى، فجعل يجمع فيها الطعام ويقول: (غارت أمكم)، زاد ابن المثنى (كلوا) فأكلوا حتى جاءت قصعتها التي في بيتها، ثم رجعنا إلى لفظ حديث مسدد وقال: (كلوا) وحبس الرسول والقصعة حتى فرغوا، فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وحبس المكسورة في بيته .

[8] انظر: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن الكريم، تحقيق عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994م، ص325.

[9] سورة النحل، آية: 126.



2. تفسير الآية : (وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ).

يقال أن أصلها في اللغة هي قلة الكلام، حكاه ابن فارس قلت ومنه الحديث (التقي ملجم والمتقي فوق المؤمن والطائع)، وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزا بينك وبينه، كما قال النابغة: سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد، وقال آخر: فألقت قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين كف ومعصم، وخرج أبو محمد عبد الغني الحافظ من حديث سعيد بن زربي أبي عبيدة عن عاصم بن بهدلة عن زر ابن حبيش عن ابن مسعود قال: "قال يوما لابن أخيه : يا بن أخي ترى الناس ما أكثرهم قال : نعم، قال : لا خير فيهم إلا تائب أو تقي"، ثم قال :" يا بن أخي ترى الناس ما أكثرهم قلت : بلى، قال : لا خير فيهم إلا عالم أو متعلم"، وقال أبو يزيد البسطامي: المتقي من إذا قال لله، ومن إذا عمل لله، وقال أبو سليمان الداراني: المتقون الذين نزع الله عن قلوبهم حب الشهوات، وقيل المتقي الذي اتقى الشرك وبرئ من النفاق. قال ابن عطية: وهذا فاسد، لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق.

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعرابيا عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمرت وحذرت، قال: فذاك التقوى، وأخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه: "خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذلك التقى واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى التقوى فيها جماع الخير كله"، وهى وصية الله في الأولين والآخرين، وهى خير ما يستفيد منه الإنسان، كما قال أبو الدرداء وقد قيل له: إن أصحابك يقولون الشعر وأنت ما حفظ عنك شيء، فقال : يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفاد المؤمن، وروى ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة عن النبي_صلى الله عليه وسلم_ أنه كان يقول : (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله). [10]

نلخص من تفسير الآية الكريمة السابقة أن دفع الصائل شرع للمعتدي عليه ولغيره ممن شاهد الأمر رد العدوان بالقدر اللازم لدفع الاعتداء، مبتدئاً بالأخف فالأخف، فلا يتجاوز حد الضرورة، حتى لا تتوسع دائرة الضرر، ولا مسؤولية على المدافع إلا إذا تجاوز الحد المشروع.

يقول الإمام النووي_رحمه الله_ :" فيجب على المصول عليه رعاية التدرج والدفع بالأهون فالأهون". [11]

---

[10] رواه أبو عبد الله بن يزيد ابن ماجه، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 2009م، ح1857.

[11] انظر: النووي، روضة الطالبين، ح187/10.



المطلب الثالث : دفع الصائل في السنة النبوية الشريفة.

لقد أكدت السنة النبوية الشريفة على حق الدفاع الشرعي الخاص في عدة مواضع منها، عن عبد الله بن عمر عن الرسول الكريم_عليه الصلاة والسلام_ قال:_

" من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد".[12]وقال الشوكاني في ذلك "فيه دليل على أنه تجوز مقاتلة من أراد أخذ مال إنسان من غير فرق بين القليل والكثير إذا كان الأخذ بغير الحق، وهو مذهب الجمهور".[13]

وهناك حديث آخر للرسول الكريم _عليه الصلاة والسلام_ ورد عن عمران بن حصين أن رجلاً عض يد رجل، فنزع يده من فمه فوقعت ثنيتاه، فاختصموا إلى النبي_عليه الصلاة والسلام_ فقال:_" يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل !!! لا دية له ".[14]كما قال الرسول الكريم_عليه الصلاة والسلام_ :" انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"،[15]ويكون ذلك بدفع كل اعتداء حال غير مشروع بالقوة اللازمة لذلك، ويشمل دفع الصائل الدفاع عن الغير أيضاً، لقوله _عز وجل_ في الآية الكريمة:_

((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)).[16]

كما ورد عن النبي الكريم _عليه الصلاة والسلام_ قوله:" من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله_عز وجل_ على رؤوس الخلائق يوم القيامة ".[17]

لذا أقرت الشريعة الإسلامية هذا المبدأ بهدف إقرار الحق للناس أفرادً وجماعات في الدفاع عن حرماتهم وحفظ أمنهم، ورد عدوان المعتدين وظلم الظالمين، واسترداد حقوقهم المسلوبة، ولو أدى ذلك إلى سفك دمائهم وإزهاق أرواحهم، ويعد هذا أساس الدين الإسلامي الحنيف.

---

[12] انظر : رواه داوود، كتاب السنة، باب قتال اللصوص ، والترمذي الديات،باب ما جاء في من قتل دون ماله فهو شهيد.

[13] انظر: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر،ط1، 1993م، ج4، ص251.

[14] رواه البخاري، الصحيح، كتاب الديات: باب من عض رجلاً فوقعت ثناياه/ ومسلم في كتاب القسامة، باب الصائل على نفس الإنسان.

[15]رواه البخاري ، الصحيح، كتاب المطاع، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ح(2311).

[16] سورة الحجرات، آية رقم: 9 .

[17] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى 177/28، ورواه أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق أحمد معبد عبد الكريم، جمعية المكنز الإسلامي، 2008م، وانظر: الشوكاني، نيل الأوطار، 3/5.



المطلب الرابع : آراء فقهاء الإسلام في دفع الصائل.

لا خلاف بين العلماء أن هذه الآية أصل في المماثلة في القصاص، فمن قتل بشيء قتل بمثل ما قتل به، وهو قول الجمهور، ما لم يقتله بفسق كاللوطية و إسقاء الخمر فيقتل بالسيف،[18]و سئل الإمام الغزالي، في إذا صال إنسان على آخر فعجز المصال عليه عن دفعه، فهل يجب على من يقدر على دفعه أن يدفعه، حتى إن قتله دفعاً لا يجب الضمان؟ فأجاب: يجب ذلك بطريق النهي عن المنكر، ولا ضمان عليه.[19] ويرجع السبب في ذلك لأنه لولا التعاون لذهبت أموال الناس وأنفسهم، ولأن قطاع الطرق إذا انفردوا بأخذ مال إنسان ولم يعنه غيره، فإنهم يأخذون أموال الكل واحداً واحداً، وكذلك دفع الضرر واجب، وفي حصول الاعتداء على الغير يتحقق الضرر.

وقال الشوكاني في دفع الصائل :" فيه دليل على أنه تجوز مقاتلة من أراد أخذ مال إنسان من غير فرق بين القليل والكثير إذا كان الأخذ بغير حق، وهو مذهب الجمهور".[20]

إذاً مسألة دفع الصائل وجواز قتله إذا لم يندفع شره إلا بالقتل، محل إجماع بين الفقهاء المسلمين.

وللشافعية قول: إنه يقتل بذلك، فيتخذ عود على تلك الصفة ويطعن به في دبره حتى يموت، ويسقى عن الخمر ماء حتى يموت، وقال ابن الماجشون : إن من قتل بالنار أو بالسم لا يقتل به، لقول النبي صلى الله عليه وسلم :" لا يعذب بالنار إلا رب النار"،[21] وقال الله تعالى: ((**ومن يتعد حدود الله**..))[22] ، أي يتجاوزها، فمن ظلمك فخذ حقك منه بقدر مظلمتك، ومن شتمك فرد عليه مثل قوله، ومن أخذ عرضك فخذ عرضه، لا تتعدى إلى أبويه ولا إلى ابنه أو قريبه، وذهب الجمهور إلى أنه يقتل بذلك لعموم الآية، وليس لك أن تكذب عليه وإن كذب عليك، فإن المعصية لا تقابل بالمعصية، فلو قال لك مثلاً: يا كافر، جاز لك أن تقول له: أنت الكافر، وإن قال لك: يا زان، فقصاصك أن تقول له : يا كذاب يا شاهد زور، ولو قلت له يا زان، كنت كاذبا وأثمت في الكذب، وإن مظلك وهو

---

[18] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج177/28.

[19] انظر: فتاوى الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق : مصطفى امحمود أبو الصوى، تحقيق ، المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، كوالامبور، ماليزيا، ط1، 2007م، ص249.

[20] انظر: الشوكاني، نيل الأوطار، ج251/4.

[21] رواه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، ح2853.

[22] سورة البقرة، آية: 229.



غني دون عذر فقال : يا ظالم، يا آكل أموال الناس، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لي الواجد يحل عرضه وعقوبته)،[23] أما عرضه فبما فسررناه، وأما عقوبته فالسجن يحبس فيه.

وقال ابن عباس : نزل هذا قبل أن يقوى الإسلام، فأمر من أوذي من المسلمين أن يجازي بمثل ما أوذي به، أو يصبر أو يعفو، ثم نسخ ذلك بقوله_عز وجل_ : ((**وقاتلوا المشركين كافة**..)).[24]

قال الإمام النووي –رحمه الله– في شرحه لصحيح مسلم،الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم، ومن المتعارف عليه أن بعض الفقهاء قد توسعوا في موضوع الدفاع الشرعي، حيث جعلوه موضوعاً عاماً شاملاً يستوعب الدفاع عن دار الإسلام من خطر الأعداء، فيما رأى آخرون أن الدفاع الشرعي والعنف المشروع هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[25]

ونستنتج من ذلك إن الفقهاء المسلمين قد أجمعوا على حق الدفاع الشرعي ، لدفع الخطر غير المشروع عن الأعراض أو المال أو النفس، لكنهم اختلفوا في اللفظ الدال على هذا الحق، وفي تكييف الخطر المنصب على هذا الحق، فمنهم من جعله خطراً محرماً أو عدواناً أو ظلماً، فيما قال آخرون عن هذا الخطر بأنه: من أريدت نفسه وحرمته أو ماله. وذهب غيرهم إلى لفظ آخر وهو الصيال فقالوا: للمرء قتل ما صال عليه، من آدمي أو بهيمة ولم يندفع إلا بالقتل إجماعا.

وقيل : نسخ ذلك بتصييره إلى السلطان، ولا يحل لأحد أن يقتص من أحد إلا بإذن السلطان.

ويذهب الدكتور وهبه الزحيلي إلى أن جمهور الفقهاء قد تأثروا بالحالة الواقعية التي سادت علاقات المسلمين بغيرهم في عصر الاجتهاد الفقهي في القرن الثاني الهجري، فقرروا أن أصل العلاقات الخارجية مع غير المسلمين هي الحرب لا السلم، ما لم يطرأ ما يوجب السلم من إيمان أو أمان.[26]

آراء الفقهاء المعاصرين ابن عثيمين وابن الباز وغيرهم في دفع الصائل:

1. رأي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان_حفظه الله_ عندما سئل عن معنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية_رحمه الله_: " فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع

---

[23] رواه أبو داود، النسائي، ابن ماجه، البيهقي، وورد في مسند أحمد، وقال عنه الحاكم:صحيح الإسناد، وحسنه الشيخ الألباني، انظر:فتح الباري 5/259.

[24] سورة التوبة، آية: 36.

[25] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ح 403/2.

[26] وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضع، عرض الشيخ محمد بكري، مؤسسة الرسالة للنشر، ط4، 1405هـ_ 1985م.



بحسب الإمكان"،[27] فأجاب: هذا مثل ما قلنا إذا حاصر البلد عدو وفي المسلمين قدرة على مدافعته، وأما إن لم يكن عندهم قدرة، فالله جل وعلا يقول في كتابه الكريم :" **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**".[28]

2. رأي الشيخ محمد ابن صالح العثيمين _رحمه الله_ عندما سئل في مجموع الفتاوى له (كتاب الجهاد) فتوى (رقم 14) هل يجوز الجهاد دون إذن إمام المسلمين؟ وهل هناك حالات يجوز فيها بدون إذن؟ فأجاب:لا يجوز الجهاد وغزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر، لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور وليس أفراد الناس، ولأن الخروج بدون إذنه سبب الفوضى والمفاسد التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وأما قول السائل هل هناك حالات يجوز فيها بدون إذن الإمام؟ فنعم، إذا هجم عليهم العدو فيتعين عليهم القتال.[29]

3. رأي الشيخ عبد العزيز ابن الباز _رحمه الله_ عندما سأله أحدهم: سماحة الشيخ إن أمنيتي في الحياة هي الجهاد في سبيل الله، وأن أقتل في سبيله وأمي لا توافق؟ دلني جزآك الله خيراً على الطريق المناسب؟ فأجاب: جهادك في أمك جهاد عظيم، ألزم أمك وأحسن إليها، إلا إذا أمرك ولي الأمر بالجهاد فبادر، لقول الرسول

الكريم عليه الصلاة والسلام:" وإذا استنفرتم فانفروا"،[30] فهذه الوالدة أرحمها وأحسن إليها حتى تسمح لك، وهذا كله في جهاد الطلب، وفي ما إذا لم يأمرك ولي الأمر بالنفير، وأما إذا نزل البلاء بك فدافع عن نفسك وعن أخوانك في الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

4. رأي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني_رحمه الله_ عندما سئل ما واجب المسلم إذا دخل أحداً عليه ليغزوا بيته أو ماله أو ينتهك عرضه؟ فأجاب: القول الصريح في هذا قول الرسول الكريم_عليه الصلاة والسلام_ :" من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد"، ونلاحظ أن درء شر هذا الظالم الذي قصد الاعتداء على المسلم، هذا حكم الصائل إذا أراد أن يسطو على ماله أو عرضه.

ونستنتج من ذلك، أن فقهاء الأمة الإسلامية أجمعوا على مشروعية وجواز دفع الصائل، لرد العدوان وحفظه الحقوق، ولقد دلت النصوص من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة على مشروعيته، ولكن يشترط للجواز أن يكون الصول بحق.

---

[27] أنظر احمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الاختبارات الفقهية، تجميع سامي بن محمد بن جاد الله، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط 1، 435هـ، ص608، والفتاوى المصرية: ج4/508.

[28] سورة البقرة، آية رقم: 286

[29] راجع الشيخ عبد المحسن العبيكان، إرشاد الحائر بتقرير مسائل الجهاد على ضوء الواقع المعاصر، جمع وإعداد إياد العكيلي، القاهرة: مطبعة دار الإمام أحمد للنشر، 2012م، ص93.

[30] رواه البخارى، ومسلم في الصحيح،كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة، على الإسلام والجهاد والخير،ح1353.



المبحث الثاني: حكم دفع الصائل.

قد يكون دفع الصائل دفاعاً عن النفس أو العرض أو المال، لذا يختلف حكم دفع الصائل باختلاف المدافع عنه، فالصائل لا يخلو من أن يكون آدمياً أو غير آدمي، والآدمي إما أن يكون معصوماً أو غير معصوم، وقد يكون مكلف أو غير مكلف، فضلاً عن أن المصول عليه قد يكون نفساً أو طرفاً أو منفعة أو عرضاً أو مالاً أو ديناً، والصول قد يكون بحق أو غير حق، فدفع الصائل هو مشروع في الجملة والمتفق عليه، وفيما يلي حكم المصول عليه :ـ

المطلب الأول : الدفاع عن النفس.

لقد اختلف الفقهاء فيه بين الوجوب والإيجاز، حيث قال الحنفية بوجوب الدفاع[31]،أما المذهب المالكي قولان أصحهما وجوب الدفاع عن النفس[32] أما الشافعية قالوا إذا كان الصائل مسلماً فيجوز الاستسلام ولا يجب الدفاع، وأما إذا لم يكن مسلماً أو كان بهيمة فدفعه واجب محتوم، أما المذهب الحنبلي فيوجد به قولان أيضاً بالوجوب والإيجاز.[33]

لقد استدل القائلون بعدم الوجوب بالعديد من الأدلة منها ما يلي:ـ

قول الرسول الكريم ـعليه الصلاة والسلامـ (كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل).[34]

أحاديث النهي عن الاقتتال في الفتنة ، هي أصل شرعي هام جداً ، وتعد من عقيدة المسلم، وقال عنهاشيخ الإسلام ابن تيميةـرحمه اللهـ : " إن هذا من أصول السنّة ، وهذا مذهب أهل السنة والحديث ، وأئمة أهل المدينة من فهائهم وغيرهم.

علماً أن علاء الدين الماوردي ذكر في (الإنصاف) أن: الحنابلة لا يرون الدفاع عن النفس واجباً إلا في حالة الفتنة، ومنهم من يوجب الدفاع عن المال إذا تعلق به حق الغير.

---

[31] انظر:الجصاص، أحكام القرآن، 2ج، ص401، وانظر عثمان بن علي بن محجن فخر الدين الزيلعي، تبيين الحقائق، الكبرى الأميرية للطباعة، بولاق، القاهرة، ط2، 6ج، 1313هـ، ص110.

[32] انظر: محمد بن أحمد ابن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، دار إحياء الكتب العربية، بيروت،1996م، ج4، ص357.

[33] انظر: محمد بم محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العربية، بيروت، 2010م، ج4، ص195، وابن تيمية، مجموع الفتاوى، 177/28.

[34] انظر أحمد بن حنبل، المسند، حديث خالد بن عرفطة رضي الله عنه، رقم : 22552.



المطلب الثاني : الدفاع عن العرض.

هو واجب باتفاق الفقهاء، ولا تحل إباحته بحال، لأنه لا يقل أهمية عن غيره من الضروريات، إنما عادة العقلاء بذل نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم، وما فدي بالضرورة فهو بالضرورة أولى، فالدفاع عن العرض واجب باتفاق الفقهاء [35] لذا وجوب الدفاع عن العرض قائم على كل مسلم يشاهد الاعتداء ويمكنه رده، ولو بالقتل إن لم تكف السبل الأخرى،حيث لا يقتصر على المعتدى على عرضه فقط، وإذا أراد فاسق الاعتداء على شرف امرأة، فيجب عليها أن تدافع عن نفسها، ولا تمكنه من نفسها، ولها قتله، ولو قتلته كان دمه مهدوراً، إذا لم يمكن دفعه بغير ذلك، لقوله ــ صلى الله عليه وسلمــ:" من قتل دون عرضه فهو شهيد"[36] .

المطلب الثالث: الدفاع عن المال.

ذهب المالكية والحنابلة إلى أن الدفاع عن المال جائز غير واجب، لأنه مما يباح بالإذن بخلاف النفس والعرض، ولا قصاص على المدافع عن ماله إذا اتبع الدفع بالأسهل، لحديث أبي هريرةــرضي الله عنهــ قال:" جاء؟ فقال: لا تعطه مالك"،[37] أما الشافعية ذهبوا إلى التفرقة بين أنواع المال، وقالوا: لا يجب الدفاع عن مال لا روح فيه، لأنه يجوز إباحته للغير، وأما فيه روح فيجب الدفع عنه إذا قصد إتلافه.[38]

المطلب الرابع : صيال الصبي والمجنون والحيوان.

وهي حالة إذا صال الصبي أو شخص مجنون أو حيوان على إنسان يكون هذا الإنسان في حالة دفاع كما يرى في ذلك مالك والشافعي واحمد، فإذا قتل الصبي أو المجنون أو الحيوان ولم يكن المصال عليه في وسعه حماية نفسه من الصيال إلا بالقتل فلا مسؤولية عليه من الناحية الجنائية أو المدنية والعلة في ذلك إن المصال عليه عندما قام بذلك فانه قد كان يؤدي واجبه في دفع الصائل عن نفسه.[39]

---

[35] انظر : وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج6، ص48ـ45، وينظر لابن تيمية، مجموع الفتاوى: 177/28، وانظر محمد أمين بن عمر ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، عالم الكتب للنشر، 1423هـ، ج 5، ص397.

[36] سبق تخريجه.

[37] رواه أبو داوود، كتاب السنة، باب قتال اللصوص، سبق تخريجه.

[38] انظر: صحيح مسلم، باب: الدليل على من أن قصد أخذ المال...، ج2، 343.

[39] انظر: ابن عابدين، رد المحتار، 309/5، وينظر ابو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، القوانين الفقهية، تحقيق محمد بن حمد مولاي، ط1، دار ابن حزم للنشر، 1996م، ص369.



أما الإمام أبو حنيفة وأصحابه عدا أبو يوسف فإنهم يرون أن يكون المصول عليه مسؤولاً عن دية الصبي والمجنون والحيوان، والحجة في ذلك إن الدفاع شرع لدفع الجرائم وعمل الصبي والمجنون والحيوان لا يعتبر جريمة،

ومن هنا فلا وجود للدفع حسب رأيهم ولكن للمال عليه (المعتدى عليه) الحق في قتل الصائل أو جرحه أو إيذائه على أساس (الضرورة الملجئة) علماً أن القاعدة تقول : إن الضرورة الملجئة لا تعفي من الضمان وان أعفت من العقاب لان الدماء والأموال معصومة ولان الأعذار الشرعية لا تنافي هذه العصمة .[40]

ويرى أبو يوسف أن يكون المصول عليه مسئولا عن قيمة الحيوان فقط أما فعل الصبي والمجنون فهو جريمة قد رُفع عنها العقاب لانعدام الإدراك ويكون فعل المصال عليه حالة دفاع إذا صال عليه صبي أو مجنون أما إذا صال الحيوان فيكون فعل المصال عليه ضرورة ملجئة، أما حجة القائلين بقيام حالة الدفاع في كل حال: إن من واجب الإنسان أن يحمي نفسه ونفس غيره من كل اعتداء يقع على النفس ومن حقه ومن واجبه أحياناً أن يحمي ماله ومال غيره من كل اعتداء يقع على المال سواء كان الاعتداء جريمة أم لا.[41]

المبحث الثالث : شروط دفع الصائل.

يشترط لدفع الصائل أربعة شروط[42] هي :ـ

1ـأن يكون هناك اعتداءً على رأي الجمهور، وقال الحنفية: أن يكون الاعتداء جريمة يعاقب عليها، بمعنى أن يحصل الفعل بغير حق.

2ـأن يكون الاعتداء عليها واقعاً بالفعل، لا مؤجلاً ولا مهدداً به، لأن مجرد الادعاء لا يعفيه من المسؤولية، وإلا استبيحت أموال الناس وأبدانهم بدعوى الاعتداء.

3ـألا يمكن دفع الاعتداء بطريق آخر، بمعنى من حقه أن يسرع إلى رد الاعتداء المتوقع إذا علم أو غلب على ظنه أنه لا يخطئه.

4ـأن يدفع الاعتداء بالقدر اللازم من القوة مبتدئاً بالأيسر فالأيسر والأخف فالأخف، فلا يعدل إلى القتل مع إمكان الدفع بدونه، ويقول النووي في ذلك :" يجيء على المصول عليه رعاية التدريج والدفع بالأهون فالأهون".

---

[40] انظر : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير:357/4، ومغني المحتاج:195/4.

[41] انظر:السرخسي، المبسوط ح50/24، والشافعي، الأم،ح97/7، وشرح الزرقاني على الموطأ: 48/4، والنووي، روضة الطالبين: 187/10.

[42] انظر: ابن عابدين، رد المحتار، 397/5، وابن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير:357/4، وابن تيمية، مجموع الفتاوى:177/28 .



المبحث الرابع : الأصل في مشروعية دفع الصائل.

لقد قرر الإسلام كليات خمس وسعى في سائر تشريعاته لحفظها وهي النفس، والمال، والعقل، والعرض، والدين، لأن حفظ هذه الكليات هو السبيل الوحيد لاستقرار المجتمع المسلم، وسعادة أفراده، وأما التفريط في حفظ واحد من هذه الكليات يعني اضطراب المجتمع الإسلامي، وضياع السلم والأمن فيه.

لذا جاءت مشروعية دفاع المرء عن نفسه وماله وعرضه من كل اعتداء جائر، وإن كان المعتدي من أهل الإسلام، حفظاً للنفس المعصومة، وعناية للدماء المحرمة، وحرصاً على صيانة الأعراض والأموال من أن تنتهك أو تغتصب.[43]

ومن أهم النصوص القرآنية التي تدل على ذلك الآية الكريمة :

((فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين)).[44]

يقول القرطبي ــرحمه اللهــ في تفسير الآية الكريمة السابقة بقوله: ((**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه**)) يقصد بذلك عموم متفق عليه إما بالمباشرة، إن أمكن، وإما بالحكام، واختلف الناس في المكافأة هل تسمى عدواناً أم لا؟ وأضاف بقوله : ليس في القرآن مجاز، قال : المقابلة عدوان وهو عدوان مباح ".[45]

وهذه الآية هي أصل يعتمد عليه في مشروعية دفع الصائل، حيث يقول البكري ــرحمه اللهــ : الأصل في الصيال قوله تعالى: ((**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه**)).[46]

إذاً يفهم من ذلك أن الاعتداء على الناس في أنفسهم وأموالهم حرام أصلاً، فإذا اعتدى أحد من الناس على آخر، جاز للآخر أن يدفع عن نفسه الاعتداء بما يندفع به، حتى لو أدى ذلك إلى قتله ولم يندفع بما دون ذلك.

ويلاحظ: إنّ دفاع الإنسان عن (دمه وماله وعرضه) إذا أُريدَ انتهاكه بغير حق ، الذي يسمى عند الفقهاء (دفع الصائل)ــ والذي تمَّ شرحه هنا، ويختلف عن (جهاد الدفع)،[47] فالأخير يكون في حال هجوم العدو على بلد من

---

[43] انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى 403/2، وينظر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ، فتح الباري، دار المعرفة للنشر، بيروت، أخرجه عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج 12، 1986م، ص245.

[44] سورة البقرة، آية:194.

[45] انظر: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي"، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للنشر، 2006م، ص30.

[46] سورة البقرة، آية رقم :194.

[47] انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي، أحكام الجهاد، ص218-220.



بلاد المسلمين، فيكون حينها الجهاد واجباً على المقصودين جميعاً، بشرط إذن الأمير إنْ تَيَسَّر، وبشرط القدرة على الدفع، وإلا فيسقط هذا الواجب العينيّ عن المقصودين جميعاً.[48]

الخاتمة

لقد وجدت أن الشريعة الإسلامية قد أرست للإنسانية قواعد للحياة الإنسانية وعصمت النفس البشرية من الاعتداء عليها تحت ذرائع متعددة يراد بها تعطيل الحياة وقد كرست هذه الشريعة السمحة حق النفس في الحياة والوجود بكرامة على قاعدة إن النفس البشرية معصومة بخلقها من روح الله تعالى .

نعم لقد حمت الشريعة الإسلامية النفس البشرية (الإنسان) من العدوان فحمت نفسه وصانت عرضه، حفاظاً على سلامة ونقاء النسل وتحصين النسب وقدسته أيما تقديس، وحفظت له كرامته وحقه في الوجود ليعيش إنسانية بحرية وكرامة، كما صانت كذلك أمواله فاعتبرت المال الخاص مقدساً لتسجل للبشرية قدسية مضافة للإنسان وهي حق الملكية

الخاصة، وأحاطتها بالقدسية التي أوجبت حق ووجوب الدفاع عنهما عبر تلازمية شرعية، حق النفس البشرية في الحياة وحق ووجوب الدفاع عن المال والعرض وكذلك تجردت الشريعة الإسلامية عن تقديس الأنا البشرية بحاكميه (النفس أمارة بالسوء) فأوجدت قواعد الحياة الجماعية فأعطت وألزمت الدفاع عن الجماعة فصار حق الدفاع عن الجماعة حقاً وواجباً وأوجدت العقاب عن جريمة عدم رد العدوان عن المجموع فأرست بذلك لحياة اجتماعية بوعي جمعي عبر تكافلية جماعية (خير الناس من نفع الناس) .

وهنا لا بد من الإشارة لوجوب دفع العدوان ومقاومته جماعياً بحكم التكليف الشرعي، حيث أن الشريعة الإسلامية اعتبرت فعل الصائل جريمة ورد الجريمة هي حالة دفاع وهذا ما أخذت به القوانين الوضعية، وإن الدفاع عن الحيوان الصائل يستند إلى حق الدفاع الشرعي وحالة الضرورة .

إن حكم دفع الصائل بالعدوان على النفس والمال والعرض واجب شرعي وحق أقرته الشريعة الإسلامية، فضلاً عن إن أفعال المدافع مباحة فلا مسؤولية على المدافع من الناحية الجنائية لان الفعل هنا ليس بجريمة ولا مسؤولية عليه من الناحية المدنية، لأنه أتى فعلاً مباحاً وأدى واجباً واستعمل حقاً قرره الشارع وأداء الواجبات واستعمال الحقوق لا

---

[48] انظر http://www.assakina.com/taseel/43531.html#ixzz4AKLUERYj
عمر الخالدي، أحكام دفع الصائل عند شيخ الإسلام ابن تيمية، حررت 2014/5/1م.



يترتب عليه أية مسؤولية أما إذا تعدى المدافع حقوق الدفاع المشروع فعمله جريمة يسأل عنها من الناحيتين الجنائية والمدنية.

و بالتالي يطلق الدفاع المشروع على كل قوة لإزالة ضرر ودفع خطر عن النفس أو المال أو العرض، لهذا فهو سلطة وقائية يكون بموجبها للشخص فعل ما يلزم شرعاً، لدفع خطر حقيقي غير مشروع، حال على حق معصوم.

قائمة المصادر والمراجع.

1. القرآن الكريم.
2. محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ط18، دار الشروق، القاهرة، 2001م.
3. التشريع الجنائي الإسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت، عبد القادر عودة، ج1، 1374هـ.
4. مختار الصحاح لمحمد الرازي، باب الدال، مادة "دفع"، وباب الصاد، مادة "صول".
5. يحي بن شرف النووي، روضة الطالبين، المحقق عادل عبد الموجود، دار عالم الكتب، بيروت، 2008م.
6. القادر احنوت، دفع الصائل في الشريعة الإسلامية (أحكامه وشروطه)، مجلة البيان، مقالة منشورة بتاريخ 2011/9/21م.

7. سورة البقرة، آية: 194.
8. وابن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م.
9. سورة النحل، آية: 126.
10. أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، أحكام القرآن الكريم، تحقيق عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994م.

رواه أبو عبد الله بن يزيد ابن ماجه، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 11. 2009م.

12. رواه داوود، كتاب السنة، باب قتال اللصوص ، والترمذي الديات،باب ما جاء في من قتل دون ماله فهو شهيد.
13. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر،ط1، ج4، 1993م.



14. البخاري، الصحيح، كتاب الديات: باب من عض رجلاً فوقعت ثناياه/ ومسلم في كتاب القسامة، باب الصائل على نفس الإنسان.

15. أخرجه البخاري ، الصحيح، كتاب المطاع، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ح(2311).

16. سورة الحجرات، آية رقم: 9 .

17. أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق أحمد معبد عبد الكريم، جمعية المكنز الإسلامي، 2008م.

18. فتاوى الإمام أبو حامد الغزالي، تحقيق : مصطفى امحمود أبو الصوى، تحقيق ، المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، كوالالمبور، ماليزيا، ط1، 2007م.

19. وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضع، عرض الشيخ محمد بكري، مؤسسة الرسالة للنشر، ط4، 1405هـ_ 1985م.

20. احمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الاختبارات الفقهية، تجميع سامي بن محمد بن جاد الله، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ط 1، 435هـ.

21. رواه البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، ح2853.

22. سورة البقرة، آية: 229.

23. رواه أبو داود، النسائي، ابن ماجه، البيهقي، وورد في مسند أحمد، وقال عنه الحاكم:صحيح الإسناد، وحسنه الشيخ الألباني.

24. سورة التوبة، آية: 36.

25. رواه البخارى، ومسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة، على الإسلام والجهاد والخير، ح1353.

26. الجصاص، أحكام القرآن، 2ج، ص401، وانظر عثمان بن علي بن محجن فخر الدين الزيلعي، تبيين الحقائق، الكبرى الأميرية للطباعة، بولاق، القاهرة، ط2، 6ج، 1313هـ.

27. سورة البقرة، آية رقم: 286.

28. راجع الشيخ عبد المحسن العبيكان، إرشاد الحائر بتقرير مسائل الجهاد على ضوء الواقع المعاصر، جمع وإعداد إياد العكيلي، مطبعة دار الإمام أحمد للنشر، القاهرة، 2012م.



29. رواه البخارى، ومسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة، على الإسلام والجهاد والخير، ح1353.

30. محمد بن أحمد ابن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ج4، 1996م.

31. ابن عابدين، رد المحتار، 309/5، وينظر ابو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، القوانين الفقهية، تحقيق محمد بن حمد مولاي، ط1، دار ابن حزم للنشر، 1996م.

32. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ، فتح الباري، دار المعرفة للنشر، بيروت، أخرجه عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج12، 1986م.

33. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي"، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للنشر، 2006م.

34. عمر الخالدي، أحكام دفع الصائل عند شيخ الإسلام ابن تيمية، حررت 2014/5/1م.

http://www.assakina.com/taseel/43531.html#ixzz4AKLUERYj





SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 1،كانون الثاني ،يناير 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

COEXISTENCE IN THE SHADOW OF THE HOLY QURAN

التعايش السلمي في ظلال القرآن الكريم

د. أبكر عبدالبنات آدم

جامعة بحري– كلية العلوم الإنسانية/ السودان

abaker2012@live.com

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 2/9/2016
Received in revised form 3/10/2016
Accepted 5/11/2016
Available online 15/1/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The study takes the concept of peaceful of coexistence in the shading Algerian ALkreem, that contains Principle of Islamic principle Allah law aims to keep human life according to instruction creates on respecting rights, confession with other rights in generous life and also its considered as basic beliefs that faith roots come across series of Allah faith there after prophets and messengers take calling for Allah compassionates greatly for spreading purification media ,guidance and instruction for public tribes aimed to create introducing and coexistence, but not conflicts and war. The study aims to emphasized that human is the substantial coexistence operation and peace, though Allah specializes highness to alternative on land to appear human values so coexistence on shading of Al guran Alkreem motivates to serve the whole objectives. The study finds out and concludes with peaceful coexistence ego with another shaped concentrated values in human – self when he perceive intersection and sharing values between heavenly religions.
Therefore the investigator uses descriptive historical method, sometimes analytically to identify the basic structure of material and spiritual faith through coexistence peaceful and cultural practice.



الملخص

تناولت الدراسة مفهوم التعايش السلمي في ظلال القرآن الكريم، لأنه يشكل مبدأ من مبادي الإسلام، فهو قانون إلهي يهدف إلى صون حياة البشرية، وفق ضوابط يقوم على حق الاحترام والاعتراف بأحقية الآخرين في العيش الكريم. أيضاً هو عبارة عن قاعدة عقائدية ذات جذور إيمانية جاءت عبر سلسلة من الهدى الإلهي، فجاء الأنبياء والرسل يحملون نداء المولى عزّ وجلّ لنشر دعوة التوحيد، وتوجيه الشعوب والقبائل بأن الغاية من خلقهم التعارف والتعايش، وليس الصراعات والحروب. هدفت الدراسة إلى تأكيد بأن الإنسان هو جوهر عملية التعايش والسلم، لذلك خصه الله تعالى بالاستخلاف في الأرض لاظهار قيمته الآدمية. فالتّعايش في ظلال القرآن الكريم يسعى إلى خدمة الأهداف الكلية. وقد خلصت الدراسة إلى أن التعايش السلمي مع الذات ومع الآخرين تشكل قيمة راسخة في النفس الإنسانية عندما يدرك القواسم والقيم المشتركة بين الأديان السماوية.استخدم الباحث المنهج الوصفي والتاريخي وأحياناً التحليلي لمعرفة قاعدة بناء الإيمان الروحي والمادي من خلال ممارسة ثقافة التعايش السلمي.



المقدمة:

إنّ التعايش السلمي بين بني الإنسان في القرآن الكريم يقوم على أُسس راسخة وقيم عظيمة تُبنى لمصلحة العامة دون الخاصة، ولا يوجد قانون يُنظم علاقة البشر بعضهما البعض على الإطلاق مثل قانون السماء الذي أرسل به خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، فهو قانون يهدف إلى صون البشرية جمعاء وفقاًلضوابط قائمة على العقيدة الراسخة، وعلى البر والتقوى والرحمة والإحساس بالسلم تجاه الذات النفسية والاجتماعية.

لقد خلق الله تعالى الناس، وجعلهم شعوباً وقبائل للتعارف والتعايش وفق قيم تُحترم، ومبادئ وأسس فكرية نابعة من القانون الإلهي، وبموجب تلك الضوابط جاءت الآيات القرآنية لتكفل لكل فرد حقه في العيش بسلام وأمن استقرار،حتى يستطيع كل إنسان أداء رسالته التي خُلق من أجلها وهي عبادة الله تعالى،والاستخلاف في الأرض واستعمارها. فالتعايش السلمي في ظل القرآن الكريم يشكل أحد أهم أهداف نشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب والأُمم، وهو يشكل فلسفة يقوم عليها الفكر الإسلامي الذي يدعو إلى بناء علاقات التعايش بين المختلفين، والشعور بمبدأ آلام الآخرين.

فالإنسان بطبيعته يميل إلى أبناء جنسه ويأنس بهم، ولديه من النزعة الفطرية الطبيعية ما يجعله يتواصل مع الآخرين لتحقيق حاجاته الذاتية. وبالتالي فإن طبيعة الحياة تجعل المصالح مشتركة، والحاجات متداخلة، وهذا يفرض على الإنسان حالة من التعايش في محيطه الاجتماعي، ويختلف من مجتمع إلى آخر. وقد دعا القرآن الكريم الإنسان أن يعيش في تواصل وتآخي دائمين حتى يحقق مضامين التواصل الاجتماعي والتي منها التقارب النفسي الروحي، والتعاون في تيسير شؤون حياته، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة:2).

ومن أهمية الدراسة التأكيد بإنّ الله سبحانه وتعالى عندما ميز الإنسان بالعقل، أراد أن يجعل من مبادئ حياته أن يرحم القوي الضعيف بكل ما تحمله هاتان الكلمتان من معنى، والخوف منه عزّ وجلّ، فجاءت الآيات القرآنية تبين ضرورة الاحتكام إلى شرعه تعالى. فالتعايش السلمي في القرآن الكريم هو إيجاد علاقة العيش الكريم بين أصحاب الملل



المختلفة، ودعم التنمية البشرية حتى يتسنى لهم بناء صرح من القيم على المستويين الفردي والجماعي، وهذا ما نقرأه في قصص الأمم السابقة.

تهدف الدراسة إلى بلورة أهمية التعايش السلمي الذي جاء به الأديان الإلهية، والذي ختم به الدين الإسلام، لأصلاح حال الشعوب والأمم، والبحث عن بواعث السعادة من خلال تحقيق مطلوبات الأمن والسلامة، ولاسيما حين يعيش الإنسان في ظل تعاليم الإسلام.

وقدتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات التالية:

1. هل التعايش السلمي فطرة طبيعية عند الإنسان؟

2. إلى أي مدى يمكن تفسير التعايش السلمي بأنه شكل من أشكال التواصل والاتصال؟

3. هل العالم اليوم يحتاج إلى قواسم مشتركة لبناء ثقافة التعايش السلمي؟

استخدم الباحث المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي، للكشف عن مدى تعامل البشرية مع معطيات الأحكام الدالة في القرآن الكريم بضرورة الإهتمام بالقواسم التي تجعل أصحاب الأديان السماوية يعيشون تحت مظلة التعايش السلميكحق مكفول للجميع.فالعالم اليوم أحوج إلى دراسة تلكم القيم والضوابط والأخذ بها حتى يتفرغ الإنسان لأداء رسالته التي خُلق من أجله،ولبث ثقافة الرحمة،وتحقيق أهداف نشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب والأُمم.

تُحدد الحدود الموضوعية والمنطقية للدراسة من خلال الآيات القرآنية، للكشف عن أهمية التعايش السلمي في حياة الإنسان.



مفهوم التعايش لغة واصطلاحا

لغة: إذا نظرنا إلى الدلالة اللغوية للفظ التعايش، نجد أنها في الأصل تشتقمن تعايشوا : أي عاشوا على الألفة والمودّة، ومنه التعايش السلمي، وعَايَشَه: أي عاش معه[1]. والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل[2].

اصطلاحا: يُرادُ بالتعايش، أن تلتقي إرادةُ أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمنُ والسلام العالم أجمع، أو أن تعيش الإنسانية فيجوّ من الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعمّ بني البشر جميعاً من دون استثناء، ويستند مفهوم التعايش إلى أربعة أسس:

- أن تتوفر الإرادة اليقينية، بحيث أن تكون الرغبةُ في التعايش نابعةً من الذات، وليست مفروضةً تحت ضغوط، أيّاً كان مصدرها، بشرط ألاَّ تكون مرهونة بمصالح الآخرين، مهما تكن مسبباتها.
- أن يكون المقصد من التعايش هو خدمةَ الأهداف والغاياتالإنسانية السامية التي تحققَ مصالح البشرية العليا، وفي مقدمتها استتبابُ الأمنوالسلم العالمي.
- التعاون من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها، وَفقاً لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان في العيش الكريم(كالمعاهدات والمواثيق والاتفاقيات).
- أن يتمَّ الاحتكام دائماً إلى القواسم المشتركة، كالقيم والمثِل والمبادئ التي لا خلاف عليها، ولا نزاع حولها، وهذا ما يعزز جانب الإرادةُ والالتزامُ.

أمّا إذا نظرنا إلى جانب السياسة الدولية، فإن مصطلح(التعايش السلمي peaciful Coexistence)يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساسٍ من التفاهم وتبادلالمصالح المشتركة. وقد ظهر هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانيةعندما انقسم العالم إلى معسكرين، وبالتالي أصبح العالم في حالة من الفزع والهلع خاصة بعد ظهور ما يعرف بأسلحة الدمار الشامل(القنبلة النوويّة)، وبعد قيام مجموعة دول الاتحاد، وعدم الانحياز.

---

[1] ابن منظور(1985م). لسان العرب. دار العلم، القاهرة،ط2ج10،ص345.

[2] الكفوي،أبو البقاء(بدون تاريخ). الكليات. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ط2ص312.



وقد أشارت (الموسوعة السياسية Political Ensicolopedia) إلى أن أول من أطلق شعار (التعايش السلمي peaciful Coexistence)، هو الروسي(نيكيتا خروتشوف)، الذي سعى لتحقيق أهداف بلده بطريقة تنسجم مع مقتضيات العصر بناءاً على التغيّرات التي طرأت على المسرح الدولي، فأطلق شعار:(عِشْ وَدَعْ غيَرك يَعِشْ أيضاً)[3]. وهذا المفهوم،كمايبدو مغايرٌ للمفهوم الأول، من حيث الهدف السياسي. فالمفهوم الأول، يقصد بهالتعايش بينالأديان إذا ما توفرت الأسس السابقة، وبالتالي يصبح التعاون والتعايش ضرورة من ضرورات الحياة، لأنه يستند على دواعي قاعدة جلب المنافع ودرء المفاسد، تلبيةلنداء الفطرة الطبيعية حتى ينصرف الفرد نحوالدعة والسكينة لبناء الحضارة الإنسانية.

فالتعايش، بهذا الفهم الموضوعيّ ينطلق من مبدأ طبيعة الرسالات السماوية، فهو اتفاقُ طرفين أو أكثر على تنظيم وسائل العيش فيما بينهما وفق قاعدة محددة، إذ أن هنالك فرق بين أن يعيش الإنسان مع ذاته وبين أن يتعايش مع الآخرين، ففي كلا الحالتين فالمرء هو الذي يقرركيف يقنع نفسه في بناء قاعدة التفاعل والتبادلمع الآخرين، بشرط أن تقوم تلك القاعدة على توافق المصالح العامة دون الخاصة. وبالنظر إلى تلك المعطيات فإن مفهومالتعايش لا يخرج عن هذا الإطار العام، بأية حال من الأحوال، وإلاّ فقدخصوصياته، وانحرف عن غاياته، وهذا ما يحتّم وجود قاعدة ثابتة يقوم عليها التعايشبين الأديان.

مفهوم السلم لغة واصطلاحا

لغة: السلم في اللغة: من السِلمُ: أي البراءة والعافية، وقيل: السِلْمُ هو السّلامُ[4].وقوم سِلْمٌ وسَلْمٌ: أي مُسالِمون، وكذلك امرأة سِلْمٌ وسَلْمٌ، وتسالموا:أي تصالحوا[5].وقد قُرئ على ثلاثة أوجه، السَّلَم والسِّلْم والسَّلْم. والسِّلْم: ضد الحرب، ومنه اشتقاق السَّلامة، وسُمِّي بذلك تفاؤلاً بالسلامة[6]. فالسِّلم هو الصلح، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (البقرة:208).

[3] يحيى، عيسى عبده(1981م). حقيقة الإنسان. دار المعارف،بيروت،ط1ص34.

[4] ابن منظور(1985م). لسان العرب. دار العلم، القاهرة،ط2ج12،ص289.

[5] المصدر نفسه.ص290.

[6] ابن دريد،(بدون تاريخ). جمهرة اللغة.دار الأمل، القاهرة،ط1،ص326.



اصطلاحا: السلم هو سلوك فطري يحتاج إليه كل فرد أو جماعة كي يعيشوا بتآلفٍ وانسجامٍ ومودةٍ وهدوء، وهو جزء من ديناميكية حركة الأمة لقيام مجتمعاتٍ قويةٍ ومتماسكةٍ وقابلةٍ للنموّ والتطور، وقادرةً على الإبداع والإنجاز والإنتاج.فالنفس البشرية تنبذ الكراهية والعداوة والحقد والبغضاء، لأنّها أمورٌ تناقض الفطرة الطبيعية التي فطر الله تعالى عباده عليها.فالسلم يرمز إلى الحوار والتسامح بين الأفراد،ويناقض فرض الآراء بالإكراه والإجبار(7). وأيضاً يأتي السلم بمفهومه الإيجابي معاكساً لمفهوم الحرب التيلا ترقى بالأمم بل تجعلها تتخلف وتظل في أسفل سلم الحضارات(8).

فالسلم ضد الحرب، وهو وضع يسود فيه الأمن والسلام، ويشعر فيه الفرد بالأمان والسكينة والاستقرار، بل هو عامل أساسي لتقدم الأمم وازدهارها. ويرى البعض أنه يُعني الوفاق الذي يتم بين أعضاء مجموعة بشرية متقاربة ومتصلة الروابط(9).فالسلم في الإسلام يحقق التعايش السلمي بين الشعوب والأمم لأنه يقوم على الحق والعدل، وهو الأصل في السياسة الشرعية، مع الاحتفاظباستقلالية وكرامة الإنسان(10).وهنالك ما يسمى بالسلم العالمي وهوالمحور الذي تدور عليه شرائع الإسلام وأحكامه. لذا، كان اهتمام الإسلام بالعدل وترسيخ دعائمه، مساوياً لمدى اهتمامه بالسلم،فكلما انتشر سلطان العدل، انتشرت ثقافة السلم والعكس. أيضاً يقصد بالسلم أو السلام بأنه حالة من التوافق تتحقق بين طرفين إذا توفر الانسجام، والوئام والأمن والاستقرار وسط الأسرة والمجتمع والعالم أجمع(11).

أما الحرب فهي حالة طارئة يفرضها الواقع غير المثالي عندما يغيب الأمن والسلام، فيجنح البعض نحو الإعتداء على أعراض الناس، ولم تكن قريش وحدها هي العدو الذي نأى عن الإسلام وصَّد عن سبيله، بل كان هنالك اليهود من أهل المدينة والمنافقين كذلك كانوا أعداءً للإسلام والمسلمين يودون أن يردوا المسلمين إلى الكفر بعد إيمانهم بالله عزّ وجلّ، لقوله تعالى:{... وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(البقرة:217). فالقتال

(7) الكفوي،أبو البقاء(بدون تاريخ).مصدر سابق.802.

(8) الرازي،محمد بن أبي بكر(1995م).مختار الصحاح.تحقيق محمود خاطر.مكتبة لبنان للنشر،بيروت،ط1،ص326.

(9) أبو زهرة،محمد(1987م).الإسلام. دار الملايين للنشر،القاهرة،ط1،ص34.

(10) المقري،(بدون تاريخ).المصباح المنير. المكتبة العصرية،القاهرة،ط1،ص149.

(11) عبدالعزيز،أمير(2005م).نظام الإسلام.دار ابن الجوزي،القاهرة،ط1،ص44.



في الإسلام ليس إلا دفاعاً عن العقيدة ومن أجل ذلك أذن الله للمؤمنين بالقتال لتأمين عقيدتهم وحياتهم لقوله تعالى: وقوله تعالى:{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}(البقرة:191). فالذين يفتنون المؤمنين عن دينهم يجب على المؤمنين أن يقاتلوهم، لقوله تعالى:{هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ }(آل عمران:7). أمّا الذين يذلون المستضعفين من المؤمنين فيجب على الأقوياء مناصرتهم، لقوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً}(النساء:75)، فالمبدأ العام في الحرب أن يقابل الإعتداء بالمثل شريطة أنْ يكون القتال كله في سبيل الله، وغايته إعلاء كلمته ونصر دينه، وأن تكون تقوى الله ومرضاته هي شعار كل المجاهدين، وأن تنتهي الحرب بانتهاء الغرض لقوله تعالى:{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ}(البقرة:193)، فالحرب في الإسلام ليست غايةً أوهدفاً في الغنائم أوالاستلاب أو القهر أو الإستغلال، بقدر ما هي الدفاع عن حرية العقيدة وحفظ كرامة الإنسانية وبناء القيم الأخلاقية الفاضلة.

وعلى هذا المنوال فإنّ السلم في الإسلام أنواعٌ، منها:

* السلم الذاتي: يعتبر السلم الذاتي للإنسان من أهم الأنواع، والمقصود هنا أن يكون الشخص متسامحاً ومتصالحاً مع ذاته محباً لنفسه، وللناس كافة.

* السلم السياسي: وهو السلم الذي ينبذ النزاعات والصراعات والحروب المدمرة.وقد درج بعض الباحثين في العلوم السياسية أن يسمونه بالسلم العالمي، ومن جراء تلك المسميات تأسست منظماتوهيئاتدولية لحفظ السلام بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية[12].

---

[12] رمضان،محمد سعيد(2006م).الجهاد في الإسلام.دار الفكر،دمشق،ط1،ص227.



* السلم الاجتماعي:وهو السلم الذي ينظر إلى الإنسان بأنه كائن اجتماعي، وعلى أساس هذه الرؤية يستطيع أن ينظم علاقاته الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم.

* السلم البيئي:ويقصد بصيانة البيئة استغلال الموارد الطبيعية بصورة تكفل حقوق الجميع.

وقد أكد الإسلام على أهمية السلم والسلام في إقامة مجتمعٍ مستقرٍ يشعر أفراده بالأمان والطمأنينة والسكينة في مختلف مجالات الحياة، لقوله تعالى:{وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(الأنفال:61)، فالسلم في ظلال القرآن الكريم يبدأبتحية الإسلام لقوله تعالى:{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(يونس:10).

مبدأ التعايش بين البشر

جاء القرآن الكريم وأعلن صراحة عن لزوم التعايش السلمي بين البشر إلا من ظلم، فرفع شعاره، بقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}(البقرة:208)، وقال تعالى:{فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}(النساء:65) فالآيتان الكريمتان تشيران إلى ضرورة تحقيقمفهوم التعايش السلمي من خلال نبذ العنف وتقبل الآخر،وهذا ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا)، وقالصلى الله عليه وسلم:" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، وقال:" المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"، وفيما ذكرت من الأحاديث الشريفة يمثل بحق منهجاَ تربوياً يمكن تطبيقه على مستوى تعليم الفرد والجماعة لأجل التعاون والتحابب والتسالم، وهذا ما ينمي قابلية التعايش بين الأديان كافة.

إن مبدأ التعايش بين البشر، وقبول الآخر من أهم القيم التي يمكن أن تتوفر عند كل فرد أو جماعة حتى يصبح العالم مكاناً آمناً؛ وبناءاً على المتغيرات الحياتية المختلفة وظهور الاطماع السلطوية أصبح ظهورعدد كبير من الحركات الاجتماعية والسياسية يشكل أحد تحديات بناء ثقافة التعايش على الرغم من وجود قواسم مشتركة بين الأطياف



المختلفة[13]. فالتعايش والعيش المشترك، والقبول بالتنوع، بما يضمن وجود علاقة إيجابية مع الآخرين يعزز الكرامة الإنسانية والحرية.

والاستقلال والديمقراطية.فإذا نظرنا إلى تاريخ الإنسانية الأولى نجد أن من ثقافتها الحروب والنزاعات لأجل العيش، غير أن تلك الثقافة قد اضمحلت بمجيء الرسل والأنبياء عليهم السلام، عندما أدركوا أن تلك العلاقة العدوانية لا تجدي، فصارت مسألة تعزيز ثقافة التعايش السلمي على جميع المستويات أمراً ملحاً[14].

وعلى هذا المنوال أصبح التعايش من المفاهيم الأساسية في تاريخ ثقافة الشعوب والأمم، وقد قرّرت الشرائع أنّ الغاية من الوجود تكمن في الاعتراف بالذات الإنسانية، لقوله تعالى:{إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً}(النساء:90). لذلك فإن مصطلح التعايش السلمي كاستراتيجية يعنى الوجود من أجل البقاء. وفي هذا السياق فإن التنمية المركزية لكل شعب أو أمة أو دولة لا تقوم إلاّ بتوفرالعيش المشترك.

الأسس الفكرية للتعايش السلمي في القرآن

جاء الإسلام لتعزيز تكريم الإنسان وتفعيل دوره في الحياة، ليكون عنصر خير ورخاء على هذه البسيطة، والدعوة إلى فهم الدين الإسلامي، وتوجّهه وجهة صالحة تدعم ثقافة الأمن والاستقرار والسلام. لذلك تختلفالأسس الفكرية للتعايش حسب الأزمنة، وحسب الطبيعة البشرية لاعتبارات كثيرة أهمها تطور وانفتاح المجتمعات الإنسانية، وتشابك علاقاتها مع بعضها البعض. وفي هذا الإطار فإنّللمسلمين دور متعاظم في تحقيق التقارب بين الثقافات المختلفة، وفي تدعيم الحوار بين الأديان، والتعريف بحقيقة الإسلام باعتباره دعوة مفتوحة إلى الإنسانية أجمعمصداقاً لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات:13). لذلك فإذا نظرنا إلى حقيقة التعايش بين المسلمين وغير المسلمينفي الإسلام نجد أنّ هنالك

---

[13] الذهبي،عباس(1998م).العلاقات الدولية للحكومة الإسلامية. ط1،ص396.

[14] القرضاوي،يوسف(1995م).قضايا إسلامية.مكتبة وهبة،القاهرة،ط1،ص44.



أسس ودوافع مختلفة أدت إلى المناداة بهذه الثقافة خاصة عندما تعرضت الأمة إلى ويلات وابتلاءات، وما آل إليها من توترات وصراعات ومواجهات ايديولوجية وثقافية وحضارية ودينية باتت تهدد الأمن والاستقرار، فالإسلام في كافة

نصوصه دعوة أمن وأمان لكل البشر، يحفظ لأتباعه الآخرين صيانة الحقوق والأعراض والتعاون والتناصر، ومن هنا سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمن رعايا دولته، وقد كان، لقوله تعالى: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً}(النساء:91). ومن الأسس الفكرية التي تقوم عليها عملية التعايش،منها:

* الاعتراف بوجود الخالق وتنزيهه، لقوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت:46).

* تنزيه الرسل عن كلالانحرافات التي تقع من البشر.

* العمل على إقرار مبادئ الحق والعدل والحرية، لقوله تعالى: لقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً}(الكهف:29).

* الحوار: إنَّ مسألة المساواة والعدالة على أساس الإعتراف بالآخر هو أسلوب من أساليب الحوار، وقانون اجراه النبي صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرناً، أصبحت تمثّل اليوم أهم قواعد رفع الأنانية بين الإنسانية لقوله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }(النحل:91). فيشمل كل تعاقد بين طرفين أو أكثر على ضمان بما يمكن أن يضع شروطاً تكون ملزمة للعامة والخاصة حتى تتحول تلك المعاهدة إلى ميثاق ينظم حال المواطنين في الدولة الإسلامية، على أساس القاعدة الشرعية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً".



*حفظ كرامة الإنسان، أياً كان دينه أو جنسه أو لونه،لقوله تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}(الإسراء:70).

*إنّ اختلاف الناس حق إلهي منحه الله تعالى لعباده،لقوله تعالى:{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}(الكهف:29). وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(هود:118).

*إنّ المسلم ليس مكلفاً بمحاسبة الآخرين، ولكنه مكلف بالدعوة إلى الله، قال تعالى:{وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(الحج:68-69). وقال تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}(العنكبوت: 46)، لذلك فإن حسابهم وجزاؤهم متروك لله تعالى.

*إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ويكره الظلم حتى على نفسه، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(المائدة:8)، وقالصلى الله عليه وسلم: (وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ)[15]. ولبناء أواصر التآلف والتعايش بين البشر منع المولى عزّ وجلّ الاعتداء على الغير، أيا كانت صورته،لقوله تعالى:{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}(29)، وقالرسول الله صلى الله عليه وسلم:" من آذى ذمياً، فأنا خصمه يوم القيامة"، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطابرضي الله عنه، لعمرو بن العاص الذي كان والياً على مصرعندما ضرب ابن القبطي:" متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[16].

خلاصة القول، إنَّ التعايش السلمي بين أصحاب الملل هو ما دعا إليه القرآن الكريم، عندما أفرد الله سبحانه وتعالى العبودية لنفسه، وعدم الإشراك به، ورفض الطغيان والجبروت والكبرياء امتثالاً، لقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الحجرات:11).

---

[15] ابن حنبل(1999م).مسند الإمام أحمد بن حنبل. دار الفكر العربي،بيروت،ط2ج3:حديث رقم2071.

[16] ابن كثير،محمد(1964م). السيرة النبوية.دار الجيل، بيروت،ط1،ص337.



القواعد الأساسية للتعايش السلمي في القرآن

لقد وضع القرآن الكريم قواعد وأسس ونظم واضحة للتعايش السلمي في الإسلام، فأعلن أنَّ الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة، وهذا يعني أنَّ وحدة النشأة والأصل واحد، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}(النساء:1)، فالناس جميعاً في الإنسانية سواء، ولهمحق العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز،قال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ}(فصلت:44)، وما اختلاف البشرية في ألوانهم، وأجناسهم، ولغاتهم، إلا آية من الآيات الدالة على عظيم قدرته تعالى في الخلق، قالتعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}(الروم: 22).فلا يحل أن يكون الاختلاف سبباً في التنافر والعداوة، بل بالعكس يجب أن يكون سبباً للتعارف والتلاقي على الخير والمصلحة المشتركة، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات: 13)، وحين وضع القرآن الكريم ميزان التفاضل، إنما يريد الله أن ينبه الإنسان بأنَّالخيرية تكمن في الإيمان بالله، والاعتراف بحق الآخر في العيش. أمّا الآخرون الذين لم ينتسبوا إلى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم ينظر القرآن الكريم إليهم على أنهم ليسوا بشراً، وإنما نظر إليهم نظرة الطبيب إلى المريض، فلم يحاربهم ولا يقاتلهم، بل لا يكرههم في الدين، لقوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(الممتحنة:8). فالرسول صلى الله عليه وسلم هو حامل راية السلم والسلام، للبشرية كافة، ليريهم فضل الهدى والنور، والخيروالرشاد،والرحمة والرأفة، لقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(الأنبياء:107)، وقال صلى الله عليه وسلم:(إن الله بعثني هدىً ورحمةً للعالمين..."(رواه البخارى ومسلم).

فإذا نظرنا إلى عالمنا اليوم نجد أنّ الحال يغني عن السؤالفكل طرف ينزغبعمل الشيطان في سبيل تحقيق مآربه الشخصية، وفي هذا يبدو أنهم لا يدركوا أنَّ للإسلام أسبقية في الدعوة إلى التعايش عن بقية الأديان السماوية الأخرى، فقد كان حياة النبي صلى الله عليه وسلم تمثل مدرسة نموذجية استطاع من خلالها أن يقيم قواعد التعايش، وأواصر المحبة بين المسلمين وغيرهم في المدينة المنورة، كما أقام أول دولة إسلامية مبنيّة على التكافؤ والعدالة بين المسلمين المهاجرين



والأنصار، وكذلك اليهود وبقية البطون الأخرى، فلم يأت النبي صلى الله عليه وسلم ليمحو وجود فئة دون الأخرى، وإنما اعترف بدينهم، وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم العبادية والتعبدية، وهو يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو القدوة والأسوة الحسنة بين أصحابه وأقرانه وبقية مجتمع المديمة المنورة، حتى إنه ورد في أسباب نزول قوله تعالى:{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(البقرة:256)، أن بعض المسلمين كان لهم أولاد يدينون بالديانة اليهودية، فأرادوا أن يجبروا أولادهم على ترك اليهودية واعتناق الإسلام، فنهاهم الله في هذه الآية عن ذلك. وعندما حارب النبي صلى الله عليه وسلم اليهود لم يحاربهم بسبب الاختلاف معهم في الدين، وإنما كان سبب حربه معهم هو نقضهم للعهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين، إضافة إلى سعيهم الدائم لتأليب العرب المشركين ضد النبيّ والإسلام، فالحرب كانت دفاعية وقائية في المقام الأول[17].

وعندما توسعت رقعة الدولة الإسلامية سعى النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى عقد معاهدات مع بعض قبائل نجرانحتى تؤمن لهم حرية المعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم، فقد جاء في معاهدة النبي لأهل نجران:(ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليه دنية)[18]، فكان لهؤلاء القوم ولغيرهم الحرية التامة في التنقل والحركة، وفي ممارسة نشاطاتهم الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية، وهذه يمثل أروع ضروب المثل والأخلاق في بناء علاقات التعايش بين الشعوب والأمم.فالإسلام هو الدواء، لأنّه الدين الذي ختم الله تعالى به الأديانالإلهية، فأصلح للشعوب حياتها، وجعلهم باعثون على السعادة بحرية مطلقة، ولا يدرك الفرد ذلك السمو إلاّ عندما يعيش في ظلاله[19].

فالدعوة إلى بناء قواعد التعايش السلمي بين الإنسانية تأكيداً ما على ما ذكره رسول السلام والإسلام قائلاً:" من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته".وبناءاً على ماذكر فإن القواعد الأساسية للتعايش السلمي في الإسلام تتمثل في جملة من الأحكام، منها:

---

[17] البغدادي،أحمد(1999م).تجديد الفكر الديني. دار الثقافة،دمشق،ط1،ص123.

[18] دويدار،امين(بدون تاريخ). صور من حياة الرسول. دار المعارف،بيروت،ط2،ص432.

[19] أبو زهرة،محمد(1987م).مصدر سابق.ص94.



* الاحتكام إلى شرع الله: من القواسم المشتركة التي دعت إليها الأديان السماوية الاحتكام إلى شرع المولى سبحانه وتعالى،والخوف منه، فجعل يوم القيامة يوماً يجمع الناس فيه لينال كل واحد نصيبه من الحساب والعقاب، لقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(الملك:1)

* إصلاح المجتمع: انّ من الحكمة، "الصالحون يبنون أنفسهم، والمصلحون يبنون الأُمم"، فإذا كان الصالحون يبنون أنفسهم، فإنّ الأُمم والشعوب في حاجة إلى المصلحين الذين يبنون الأُمم، لذلك فإننا اليوم في أمس الحاجة إلى مصلحين من البشر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومعتقداتهم، للارتقاء بالشعوب نحو الخيرية والفضيلة حتى يقومون بدورهم الفاعل في نشر ثقافة التعايش السلمي.

فالرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا يحملون هذه المهمة الشاقة دون كلل أو ملل، لأنّ الله عزّ وجلّ اصطفاهم لهذه الوظيفة، فكلما برزت مشكلة سعوا في حلّها، وإزالة لبسها وحياً، فهم يخاطبون العقول والقلوب حتى لا تصدأ كما يصدأ الحديد،وهذا نبي الله شعيب عليه السلاميوعظ قومه لما رآهم على ضلالة، لا يفون الكيل والميزان،قال تعالى: {وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}(هود: 85)، لأنّ في إيفاء الكيل والميزاندليل على القوة الإيمانية والثقة بالنفس، فإذا توفر العاملانيستقيم سبل الحياة، ويشعر الآخر بأن له حق الوفاء.فالسعي إلى التقارب والتعاون، لأجل تحقيق التقرب إلى اللهسبحانه وتعالى أمر مطلوب، لقوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(الأنعام:151). فكل الأنبياء والرسل أرسلوا لتحقيق عبودية رب العالمين، وتصحيح الانحرافات التي سادت حول المجتمع، ومن جاء الخطاب القرآني بلفظ(اعبدوا الله)، وهذا عيسى عليه السلام يدعو بني إسرائيل أن يعبدوا الله وحده، وأن لا يشركوا به شيئاً، بقوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}(المائدة:72).

* مصالحة النفس: إنّ مصالحة الإنسان مع نفسه، ومع الآخرين يحتاج إلى وقفة ذاتية، لمصارحة حاجات وإحتياجات النفس، عندئذ يشعر الإنسان بحاجة أخيه في التعاون، بل يسعى في إسعاده والمجاهدة في خدمته. فمتى ما سأل الإنسان



نفسه، يعرف كيف يحاسبها ويحملها على السعي في مصلحة المجتمع. فالبشرية اليوم يحتاج إلى الصدق والأمانة، وهذا ما كان متوفراً عند الرسل والأنبياء وعند الرعيل الأولى من أصحاب المصطفى عليه أفضل السلام، وحتى تتجلى معالم تلك العلاقة بين الله وعباده، لابدّ أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه ومع إخوانه في الإنسانية، ويمكن للإنسان ينعم بنعمة الصدق والوفاء حين يؤمن بحاكمية المولى عزّ وجلّ في السراء والضراء، لقوله تعالى:{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً} (الفرقان:26).

* الدعوة إلى السلام العالمي: عندما بعث الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام، أراد في ذلك أن يألف بين قلوب الشعوب، ويصلح به السلوك الذي به تصلح النفوس لتتقبل معالم التعايش مع الآخر على ضوء ضوابطه ومقرراته وسعة رحمته. فالإنسان الصالح هو من قام بحق الإنسانية وحفظها لأبناء جنسه حقوقها، وبادلها بالرأفة والشفقة[20]. فالقرآن هو تلك الرسالة السماوية الخاتمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل خروج البشرية من ويلات الانحراف إلى نشر الخير والرفاهية للناس كافة، فإذا كان الإسلام يرفض التيارات الفكرية المعاصرة، فالسبب في ذلك هو أنها حاربت الأديان التي تحارب العقل والتفكير العلمي، فقالوا أنَّ الدين(أفيون الشعوب)، فإذا نظرنا إلى تلك المقولة نجد أنهم قد أخطأوا في تصنيف الأديان، ولم يتنبأوا بأن الإسلام هو دين التعايش الذي يدعو إلى التحرر والتقدم وإسعاد الإنسانية.

ولقد حث التعاليم الإسلامية برعاية الإنسانية في السلم والحرب من حيث العموم، وأصحاب الديانات السماوية من حيث الخصوص، فبسط الله تعالى روح الانتماء بين البشر، وألّف بين قلوب المؤمنين، ونشر روح العدل والإحسان بين الناس كافة. ومن هنا نستطيع القول أنّالثقافة الإسلامية قد حفلت بمنظومة متكاملة ترعى مسيرة التعايش بين الشعوب والقبائل على اختلاف إثنيّاتهم، لتضفي على الإنسانية محاسن ومكارم الأخلاق. كل ذلك ليحيا الإنسان حياة طيبة شعارها السلام، ومنهجها وفكرها لا يحيد عن الإسلام.فالتعايش في السلم والعرفان أواصره كثيرة، وسبله وفيرة، والعاقل من يدرك أنّ الحياة تسع الجميع، وأنّ الآراء والأفكار قابلة للنقاش والجدال، وأنّ الأعمار بيد الله يجليّها لوقتها المعلوم، فلا ينبغي أن يضيع الحياة في ظلال الخلاف والتنافر والتناحر.

---

[20] الغزالي،محمد(1997م).قضايا إسلامية. مكتبة وهبة،القاهرة،ط1،ص54.



هكذا جاء القرآن الكريم ليبني علاقة التعايش ابتداءاً بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فكانوا يُوصَفون بعضهم البعض بأنهم إخوة لأقوامهم، لاأعداء لهم، ولا لقومياتهم، لقوله تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(الأعراف:85)، وقال تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ}(هود:50)،وقال صلى الله عليه وسلم:" الانبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد). فجاء الخطاب بقوله تعالى:(يا قوم)، وليس(يا أعدائي)، ليؤكد أن تمايز الناس في الشعوب والقوميات للتعارف وليس للتناحر، فالتقوى والعمل الصالح هما ميزان التفاضل لخدمة الإنسانية. وبالرغم من تلك المكانة السامية التي يمتاز بها المسلمين انذاك، إلاّ أنّمراكزهم اليوم بدأت في التدهور والتخلف والانحلالفي شتى مجالات الحياة الدينية والدنيوية، وقد يعود هذا التخلف إلى عاملين أساسيين: الأول: فشل النخبة العربية الإسلامية في التعامل مع التيارات الفكرية المعاصرة، والثاني: وهو الأهم: بُعد المسلمين عن تطبيق أحكام دينهم، على الرغم من أنَّ القرآن دائماً يأمرنا بالسعي لتحقيق السعادة في الدنيا وفي الآخرة، ولكن الطغاة يرفضون ذلك، لقوله تعالى:{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ }(البقرة:205)، فإذا توفرت شرط الإيمان بالله فالمؤمنون هم يسعون في إقامة تلك الشراكة الاجتماعية، لقوله تعالى:{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(الحديد:12).

وعندما بعُدتالشقة بين المسلمين بعضهم بعضا سقط مراكز قوتهم أمام الغرب، فاستفاد أعداؤهم،وحاولوا أن يضعوا لهم العراقيل، حتى لا يعودوا إلى رشدهم، وقوة إرادتهم، فأصبح العالم الإسلامي لقمة سائغة لأهداف الصهيونية اليهودية المتطرفة؛ فكرياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، فالسؤال من الذي يتحمل مسؤولية هذا التخلف؟ والله سبحانه وتعالى يقول:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(التحريم:8).



التعايش مع الآخرين في ظل الاختلاف والتعددية

يرى بعض فلاسفة التاريخ أنَّ انقسامات الشعوب والأمم على أساس العرق والجنس والدين كانت تشكل نمط من أنماط الحياة بشكل عام، وهذا مما أدى إلى تسييس الشرائح الاجتماعية، الأمر الذي تطور فيما بعدإلى صراعات حول الهوية الثقافية والعرقية، فالتمسك بالمعتقدات التقليدية القديمةدفعت حياة البشر إلى النزوع نحو الخلاف والاختلاف مما أدى تلقائياً إلى تباين في الأفكار والمعتقدات، الأمر الذي أفرز واقعاً مختلفاً أدى إلى تآكل كل مضامين التحول الثقافي والعرقي والديني الذي دعا إليه القرآن الكريم، ومن هنا أصبحت ثقافة التعددية الفكرية، والتغيير الاجتماعي هي السمة الغالبة لأي شعب، ولذلك يرى البعض أن الاعتراف بالهوية ضرورة عالمية باعتبارها شرطاً أساسياً في تحقيق التنمية الاجتماعية.

فالتعايش من المفاهيم التي استخدمها الإسلام في تعزيز جوانب التفاهم بين الشعوب، وخاصة في تسوية الخلاف والاختلاف وفق المنهج القرآني، لقوله تعالى:{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(الحجرات:9)، فإن بغت طائفة على الأخري هنا يجوز القتال حتى يعود الطرف الباغي إلى رشده. فالمؤمن المتقيلا يعتدي على غيره، لقوله تعالى:{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}(البقرة:190)،وقد منع الله تعالى الخلاف المذموم الذي يؤدي إلى الحقد والكراهية، لقوله تعالى:{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(الأنفال:46). لذلك فإذا نظرنا إلى مجتمع دولة الرسول صلى الله عليه وسلم نجده كان يستقي أحكامه الشرعية من الوحي الذي ينزل عليه في كل ما يظهر من الاختلاف، لذا يمكن القول أن التعايش في فضاء العيش المشترك، يمكن أن يحقق المصالح الكلية للمجتمع.فليس نظرة الإسلام إلى الإنسان محصورة على الفرد بقدر ما تهتم بالجماعة، وعلى أساس هذه الرؤية بدأ تنظيم العلاقات الإجتماعية بين المسلمين وغيرهم في المدينة المنورة، كما تضمنَّت دستور دولة المدينة كلمة(الأمة) مكان القبيلة لتشمل المسلمين وغير المسلمين.



فالملاحظ هنا أن التعددية الدينية هي التي صاحبت بناء هذه الدولة بعيدة عن التمايز بين مكونات تلك الأمة الواحدة، فالصحيفة هنا ليست خاصة بالمسلمين دون الآخرين، كما نصت الفقرة (27) من الصحيفة، بأن العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب هي النصح والنصيحة أي التشاور وتبادل الرأي في البر دون الإثم[21]. وبقراءة أخرى يعتبر دستور دولة المدينة هي قمة في التفاهم والتعايش بين مكونات المدينة المنورة وما جاورها من الامصار، والتي تعتبر واحدة من أهم وأقدم الوثائق الإسلامية، في تنظيم وصياغة المجتمع المدني المتعدد الأعراق والأعراف، فالمعنى التاريخي والفلسفي لمجتمع المدينة المنورة يقوم على التوافق بين مكونات المجتمع دون أن يستبعد إحداهما الآخر. وبهذه الصورة استطاع صلى الله عليه وسلم أن يرسي مبدأً أساسياً من مبادئ التعايش والتفاهم السلمي بين المسلمين وغيرهم. فالإسلام في كافة نصوصه دعوة أمن وأمان لكل البشر، يحفظ لأتباعه الآخرين صيانة الحقوق والأعراض والتعاون والتناصر، ومحاربة الإختلاف والتخاذل والتناكر دفعاً لأسباب الإختلاف. وقد جرى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين من بعده على هذه المبادئ، فلم يؤثر في تاريخ الإسلام والمسلمين مغالبة المسلمين لغيرهم ومحاربتهم قصداً للدخول في الإسلام. فسياق هذه النماذج هي دعوة لأهل الأديان على تقوية القواسم المشتركة وإحياء الوازع الديني في قلوب أتباع كل دين سماوي. واستبقاءاً للسمات الإنسانية جعل التدين أداة فعالة في التهذيب والأخلاق.

ومع اتساع الدولة الإسلامية أخذت التعددية الدينية تنداح في وسط المسلمين مع غيرهم، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل إيليا قائلاً "لكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم وكل ما ملكت أيمانكم"[22]. وعندما جاء وفدي نجران قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ولهم جوار الله وذمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أموالهم وأنفسهم وملكهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، وليس لهم ديّة ولا دم جاهلية، وبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين"[23].

هكذا أكد القرآن الكريم أن الجدال يجب أن يكون بالتي هي أحسن باستثناء الظالمين منهم، فالمعنى الكامن هنا هو الدعوة للانفتاح بين المؤمنين لترسيخ القواسم المشتركة حتى يختزنوا ذلك في وجدانهم الديني والإيمان بالرسل والكتب

---

[21] دويدار،امين(بدون تاريخ). مصدر سابق.

[22] الحيدر،علي(1998م).مجموعة وثائق العهد النبوي.دار القلم،القاهرة،ط1،ص112.

[23] التويجري،عبدالعزيز بن عثمان(بدون تاريخ). الإسلام والتعايش بين الأديان.ط1،ص56.



السماوية، فالفلسفة المتجددة التي تنادي بالإنفتاح هي قديمة قدم الحضارات البائدة والسائدة، وقد وضع الإسلام هذه اللبنة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فكان مثالاً للإنفتاح والإعتراف بالآخر وإدراك قيم المساواة والعدالة، فالعلاقة بين المسلمين وغيرهم هي نتاج لعلاقات ربانية أو إلهية، وإن ما يثار عن وجود خلاف بين الأديان هو محل شك، فالمؤمن مسلماً كان أو مسيحياً يجب أن يعيش حالة من الوجد الروحي والعشق الإلهي والسمو الإيماني في انفتاحه على طاعة الله، وعلى تذليل بعض الفوارق بين الناس كافة حتى تتحول الحياة في كل مظاهرها إلى مظهر عظمة الخالق عز وجل وساحة من ساحات نعمته. كما أباح الإسلام التعاون مع غير المسلمين، لقوله تعالى:(وطَعَامُ الذينَ أُوتُوا الكتَابَ حِلُ لكُمْ وطَعامكُمْ حِلُ لهُمْ والمحصنَاتُ مِنَ المؤمِنَاتِ والمحصناتُ مِنَ الذين أوتُواْ الكتاب مِن قبلِكُمْ ...)(المائدة:5). ومن أهم دعائم الحياة الاجتماعية التي تؤكد درجات التعايش السلمي،هي:

* أن تدع لمخالفك الحرية الدينية.

* عدم النزوع نحو الاضطهادات والعقوبات، إلاّ عند الضرورة.

* تبسيط روح التعايش السلمي التي تظهر في حسن المعاشرة ولطف المعاملة.

وقد ذكر ابن إسحق أن وفداً من نجران قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ودخلوا مسجده بعد العصر فكانت صلاتهم، فقاموا للصلاة في مسجده فأراد الناس منعهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

التعايش السلمي من خلال المرجعيات الدينية

تمثل المرجعيات الدينية الأساس الذي تنبني عليه فلسفة التعايش السلمي، حينما تصبح ثقافة التآلف سمة من سمات المجتمع انطلاقاً من الآتي:

1- نظرة القرآن إلى الإنسان ككائن مميز عن سائر الكائنات الآخرى:إنّ نظرةالقرآن الكريم إلى الإنسان نظرة خاصة في أرقى تصوره، وفي أحسن صوره.حيث جاء خطاب التكريم شامل بمعزل عن دينه وانتمائه العرقي والقومي، ووضعه المادي، باعتباره كائناً عاقلاً فأرشده إلى التعامل مع المظاهر الطبيعية للكون فسخر له ما في السماوات والأرض ليعيش



مع نفسه ومع الآخرين من حوله، لقوله تعالى:{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ}(لقمان:20). فالإشارة هناتؤكد إلى أن الإنسان كائن مكافح يعمل في إطار فردي، وآخر اجتماعي انطلاقاً من تحويل الطبيعة إلى سر من أسرار الله في خلقه.

2- نظرة القرآن إلى الإنسان كعنصر فاعل في المجتمع : إن موقف الإسلام من التعايش موقف نابع من طبيعة الإنسان نفسه، فهو أرقى الكائنات في عالم الشهادة لله تعالى، وهو أحوج لأن يعيش في مجتمع يشارك فيه الآخرون، ويتنافس معهم في مختلف ضروب الحياةحتى تتكامل الأدوار داخل النسق الاجتماعيحيث يقبل عمل الفردفي إطار عمل الجماعة، لقوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}(الحج:65). فالمتأمل في القرآن الكريميجد أن هنالك جملة من الحقائق المتصلة بالطبيعة الفطرية للإنسان،ومن أبرزها:

* الإنسان كائن اجتماعي يستطيع أن يكيف علاقاته بذاته ومع الآخرينفي المحيط الاجتماعي.

* الناس يختلفون في طبائعهم ومشاربهم ولغاتهم وألوانهم، ومع هذا الاختلاف إلا أنهم يتعاونون فيما بينهم، لوجود قواسم العيش المشترك بينهما، لقوله تعالى:{إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}(هود:119).

* التعاون مقصد من مقاصد الاجتماع الإنساني لما له من منافع وفوائد تحقق مصلحة الفرد والجماعة على السواء، قال تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}(الحديد:25).

* يعتبر مفهوم (السخرة) من المفاهيم القرآنية التي تفسر تكامل الأدوار في كافة جوانب الحياة المختلفة، قال تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}(البقرة:164).



فالإنسان بتفضيله وتكريمه عن سائر المخلوقات يصبح من الظلم أن تتناحر البعض، وأن تسفك الدماء، على الرغم من أن الأصل في الحياة هو الاختلاف وتبادل الآراء لأجل التفاهم والتسامح، لذلك من الصعوبة بمكان أن يعيش الإنسان مع نفسه دون أن يختلط مع بقية المجتمعات الأخرى، ودون أن يدخل في عملية تبادل الأفكار. لذا يرى الكثير من علماء المسلمين أن المرجعية الأساسية لبناء قاعدة التعايش بين الناس يبداء بالاحترام المتبادل مع الآخرين، وتمكين الرغبة في التعاون لخير البشرية، والثقة بالنفس[24].ومن هذا المنطلق جاءت التعاليم الإلهية تحدد الأسس التي يجب أن يبني عليها المجتمع، وبالمقابل جاءت الأحكام والتشريعات لضبط العلاقات الاجتماعية بشكل تتوافق ومبدأ التعايش السلمي. لذلك وضع القرآن الكريم الأسس والحقائق المتصلة بالحاجات النفسية لمد جسور التقارب والتعاون بين البشر، وتخفيف أثر التوترات التي تحدث عندما ترتفع وتيرة النزعات والصراعات بين الأطياف المختلفة، ومن الحقائق، منها:

*أصل النشأة واحدة، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء:1).

* التفاضل بين الناس على أساس التقوى، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات:13).

* الوظيفة الأساسية للإنسان في الحياة الاستخلاف في الأرض، لقوله تعالى:{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}(الحديد:7).

وعلى ما سبق فإنّ الدين الإسلامي من أكثر الأديان حرصاً على تأكيد فطرية الحياة الاجتماعية في الإنسان، بموجب تفاعلهاالتلقائي بين مكوناته البيولوجية والنفسية، وبين الظروف الخارجية وما تستوجبه من تأقلم يحتمه قانون التكافل والتكيف الاجتماعي.وقد أكدت بعض الدراسات أنّ الأصل في التقارب بين الناس مناط بهالوحدة التي هي أس التآلف والتعاون بين الناس،لأنالأصل بناء العلاقات الاجتماعيةتنطلق من نظام التكوين الأسري في الإسلام ثم العائلة فالعلاقات الاجتماعية،والقرآن الكريم في كل ذلك ينفي العداوة والبغضاء والشحناء، لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}(آل عمران:118)،وهذا يعني أن المجتمع في نظر القرآن لا يكون وسطاً اجتماعياً إلا إذا

[24] حسين،عدنان(بدون تاريخ).العلاقات الدولية بين المسلمين.دار العلم،القاهرة،ط1،ص48.



كانت بناء العلاقات تهدف إلى توفير دوافع العيش المشترك. ولا يمكن تحقيق ذلك الهدف السامي إلا بالرجوع إلى المرجعيات الدينية(الآيات القرآنية) التي تتحدث عنوحدة بناء خاصية الأخوة الدينية، لقوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الحجرات:10)، وقالتعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(آل عمران:103). لذلك وضع الإسلام أسس أخلاقية لضبط المعاملات، ومنع السخرية والتفرقة،لقولهتعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الحجرات:11).

أنماط من التعايش السلمي من خلال الآيات القرآنية

إنَّ الحديث عن التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم يرجع بنا إلى الأيام الأولى من صدر الدولة الإسلامية، من خلال النظر في رعايا الدولة المسلمة منذ عهد المصطفى عليه أفضل السلام وأتم التسليم، إذ نجد أنّ هنالك تصنيفاً قرآنياً خاصاً للرعايا الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، على اعتبار أنَّ منهم المؤمنون. وقد سمى القرآن الكريم الذين استجابوا لأمر التبليغ مسلمين،والذين أعرضوا عنها كافرون، لقوله تعالى:{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ}(الحجر:2). عليه، فإن هذا التقسيم مبني على أساس قبول الإسلام أو رفضه،لقوله تعالى:{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ}(الجاثية:30-31). كل هؤلاء المجموعات الإثنية والقبلية والعرقية عاشتفي كنف الدولة الإسلاميةوكانت لهم حقوق وعليهم واجبات، بناءاً على الأنماط التالية:

* احترام العهود والمواثيق: دعا الإسلام إلى احترام العهود والوفاء بها،لقوله تعالى:{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}(النحل:91). ومن موجبات الوفاء بالعهد عدم التعرض للذميين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم لقول رسول صلى الله عليه وسلم:"من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصيمه يوم القيامة".



* البر والإحسان لغير المسلمين: لقد أمر المولى عزّ وجلّ بالإحسان إلى من يعايش المسلمين ويعاشرهم معاشرة حسنة،لقوله تعالى:{لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ

الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً}(النساء:95)،فالذين سعوا على قتال المسلمين وإخراجهم من ديارهم أمر الله سبحانه وتعالى بقتالهم، ونهى عن برهم مصداقاً، لقوله تعالى:{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الممتحنة:9).

* ضمان احترام القانون، واستقرار المجتمع، والشعور بالأمن والطمانينة والراحة النفسية.

هكذا طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ميزان القسط في دولته على المستويين الفردي والجماعي تأكيداً لقوله تعالى:{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(هود:118). فواجب الدعوة إلى الله هو التآلف، وعدم اتخاذ الدين أداة للتفرقة بين أصحاب الملل، كما أن الأساس في الإيمان هو حب الإنسان لأخيه الآخر في السرّاء والضرّاء، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[25]. ولعل الإطار الذي رسمه الإمام الغزالي[26] يمثل رأياً سوياً في التعايش بين المسلمين وغيرهم، ومنأهم المبادئ:

1- استبعاد كل كلمة تخدش عظمة الله عزَّ وجلَّ(تشريعات إلهية).

2- أن الله يختار رسله وأنبيائه من أجل الصدق والأمانة.

3- العمل بما جاءت به الرسالات السماوية.

---

(25) العسقلاني(1413هـ). :فتح الباري في شرح صحيح البخاري. حديث رقم2657 .

(26) الغزالي،محمد(1997م).مصدر سابق.ص50.



وتحقيقاً لمبدأ التعايش بين الأديان، اعترف الإسلام بالإخاء حتى بين الأنبياء والرسل لقوله صلى الله عليه وسلم:"الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحدْ"[(27)]. فلم يعد الإسلام ديناً خاصاً لعرق أو جنس أو لون بل جاء مكملاً ومصحِّحاً للعقائد التي أوصى بها الأنبياء عليهم السلام، لقوله تعالى:{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}(الشورى:13).

لذلك يرى السماك:" أنّ الدين الإسلامي الموحى من عند الله سبحانه وتعالى دين للأجناس جميعاً إذ ضم سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي... غيرهم، كما ضم مجموعات من النصارى واليهود وعبدة الأوثان، فإنصهر الجميع في بوتقة واحدة دون تمييز"[1] وقال(برنارد شو):" إنّ الإسلام دين يستحق الاحترام والتقدير، لأنه أقوى على هضم جميع المدنيات، وهو خالد الأبد"

خاتمة

إنّ الإسلام كدين سماوي تقوم مبادئه على أسس ثابتة وواضحة تدعو إلى التعايش والتآلف لخدمة الأهداف الإنسانية، والتي من أهمها انتشار ثقافة الأمن والأمان، والسلم الذاتي والعالمي في الأرض، وردع العدوان والظلم والاضطهاد بين الأفراد والجماعات والشعوب،ولا يمكن تحقيق تلك الغايات إلا إذا كان هذا التعايش محكوماً بمقاصد الشريعة الإسلامية.فالتعايش الذي أقره القرآن الكريم يستوعب كل قيم الحوار والجدال بالتي هي أحسن، حتى بين المختلفين عقدياً وفكرياً.

فالقواسم المشتركة التي تجمع بين المسلمين وأهل الكتاب جعلتهم أكثر قرباً للتعايش من خلال منطق الوحي الإلهي.كما أكدت الدراسة أن مبدأ التعايش السلمي في القرآن الكريم له قيمة تكاملية للإنسان، لأنه يحقق حاجات الإنسان النفسية والبيولوجية والاجتماعية التي تجمع كل متطلبات الحياة الروحية والمادية. إذاً نحن اليوم في حاجة ماسة إلى استثمار لما ورد في القرآن الكريم لحفظ كرامة الإنسان، وهذا يتطلب إعادة تقييم عمل المسلمين من خلال الإعتراف بعالمية

[(27)] النووي(بدون تاريخ:)ج3:حديث رقم :2365

[(28)] السماك، محمد(1998م).مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي.دار النفائس، بيروت،ط1،ص67.



الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.وفي الختام يرى الباحث أن هذا الموضوع يضم مجالات عدة، وأن هذه الأسطر ليست إلا إحالات واستطلاعات سعت إلى إبراز مفهوم التعايش السلمي وقابليته المتجددة لرسم آفاق المستقبل بصورة أفضل بين الناس، خاصة في بناء إطار للعلاقات الإنسانية.

النتائج

1. أكدت الآيات القرآنية أن التعايش بين الأديان فطرة طبيعية من حيث نزعة التدين.

2. إن مبدأ الاعتراف بالآخر، والقبول بالتنوع تشكل أساس التعايش السلمي بين البشر.

3. تشكل المرجعيات الدينية المحور الأساسي في نشر ثقافة قبول الآخر.

4. وضع القرآن الكريم الأسس والقواعد التي تنمي ثقافة التعايش السلمي بين أهل الملل والنحل.

التوصيات

أ. ضرورة تعزيز المفاهيم التي تساعد على تطوير قاعدة التعايش السلمي بين الإنسانية.

ب. ضرورة مخاطبة حاجات المجتمع من واقع حال الأمة.

ج. الاهتمام بالدراسات الإسلامية في مناهجنا الدراسية لخلق بيئة تسع الجميع.

د. ضرورة بلورة القواسم المشتركة في شكل مفاهيم ومبادئ تساعد في ترقية وتطوير الأمة.



المراجع

* **ابن حنبل**،أحمد (1999م). مسند الإمام احمد بن حنبل.دار الفكر العربي، بيروت،ط2.

* **ابن دريد** (بدون تاريخ). جمهرة اللغة. دار الأمل، القاهرة،ط1.

* **ابن كثير**،محمد(1964م). السيرة النبوية. دار الجيل، بيروت،ط1.

* **ابن منظور**(1985م). لسان العرب. دار العلم القاهرة، ط2.

* **أبو زهرة**،محمد(1987م). الإسلام. دار العلم للملايين،القاهرة،ط1.

* **البغدادي**، أحمد(1999م). تجديد الفكر الديني. دار الثقافة للنشر والتوزيع، دمشق،ط1.

* **التويجري**، عبد العزيز بن عثمان (بدون تاريخ). كتاب الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين.

* **الحيدر**، علي(1998م). مجموعة الوثائق للعهد النبوي. دار القلم،القاهرة،ط1.

* **الذهبي**، عباس (1998م). العلاقات الدولية للحكومة الإسلامية من وجهتي النظر الفقهية والسياسية، من كتاب: الحكومة من وجهة نظر المذاهب الإسلامية، مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر العالمي العاشر للوحدة الإسلامية، ربيع الأول، 1418هـ ـ 1998م،ط2.

* **الرازي**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1995م). مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،ط2.

* **السماك**، محمد(1998م).مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي.دار النفائس، بيروت،ط1.

* **العسقلاني**، ابن حجر(1413هـ). فتح الباري في شرح صحيح البخاري. دار القلم،بيروت،ط2.

* **الغزالي**، محمد (1997م). قضايا إسلامية. دار الصحوة، القاهرة،ط1.

* **القرضاوي**، يوسف (1995م). قضايا إسلامية.مكتبة وهبة، القاهرة،ط1.



* **الكفوي**، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (بدون تاريخ). الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. دار الألباني،ط2. تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1419هـ - 1998م، ص 802.

* **المقري**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي(بدون تاريخ). المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، القاهرة،ط2.

* **حسين**، عدنان السيد(بدون تاريخ). العلاقات الدولية بين المسلمين. دار العلم، القاهرة،ط2.

* **دويدار**،أمين(بدون تاريخ). صور من حياة الرسول.دار المعارف،بيروت،ط1.

* **رمضان**، محمد سعيد (2006م). الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه. دار الفكر، دمشق، ط1.

* **عبد العزيز**، أمير(2005م). نظام الإسلام. دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1.

* **يحيى**،عيسى عبده(1981م). حقيقة الإنسان. دار المعارف،بيروت،ط1.



دليل النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتمد مجموعة مجلات المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد) أعلى المعايير الدولية التي من شأنها رفع مستوى الأبحاث إلى مستوى العالمية، وتضيف للبحث في حال إلتزام الباحث بها ترقية حقيقة لمستوى بحثه، وكذلك تعزز من خبرته في مجال **النشر العلمي**؛ إن جملة المواصفات الواردة في هذا الدليل التوجيهي؛ تضفي على أبحاثنا شكلاً علمياً يعزز من مضمونها ويخرجه إلى القارئ بصيغة تتناسب مع تطور **ضوابط النشر العلمي** ومعارفه، مما يحقق مواكبة فاعلة لمستجدات النشر المعرفي.

تعليمات للباحثين:

1- ترسل نسختين من البحث **لمدير المجلة على الإيميل:** jistsr@siats.co.uk تحت برنامج Microsoft Word واحدة بصيغة (Word) ، وأخرى بصيغة (PDF).

2- يُكتب البحث بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) بمسافات (**واحد ونصف**) بين الأسطر شريطة ألا يقل عدد الكلمات عن **3000** و لايزيد **عن5000** كلمة، حجم الخط 16 للغة العربية, (**Traditional Arabic**) و **12** للغة الإنجليزية (**Time New Roman**)، بما في ذلك الجداول والصور والرسومات , ويستثنى من هذا العدد الملاحق والإستبانات.

3- واجهة البحث: يُكتب عنوان البحث باللغتين **العربية والإنجليزية**، وأسفل منه تكتب أسماء الباحثين كاملة باللغتين **العربية والإنجليزية**، كما تذكر عناوين وظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، وسنة النشر بالهجري والميلادي.

4- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم داخل البحث لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي، وتشمل العناوين الرئيسية: ملخص البحث وتحته الكلمات المفتاحية، (**ABSTRAC** وتحته **KEYWORDS**) المقدمة، البحث وإجراءاته، النتائج، المصادر والمراجع.

5- يرفق مع البحث ملخص **باللغة العربية** وآخر **باللغة الإنجليزية**، على ألا تزيد كلمات الملخص على (**150**) كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات المفتاحية **KEYWORDS** على ألا تزيد على (**5**) **كلمات**، مع ملاحظة إشتمال الملخص على أركانه الأربعة: المشكلة والأهداف والمنهج والنتائج.

6- يقسم البحث إلى مباحث ومطالب تُكتب وسط الصفحة بخط سميك.

7- تطبع الجداول والأشكال داخل المتن و ترقم حسب ورودها في البحث، ويكون لكل منها عنوان خاص، ويشار إلى كل منها بالتسلسل، وتستخدم الأرقام العربية (1, 2,3...) في كل أجزاء البحث.

8- كل بحث يجب أن يشمل على مانسبته 20 % من المراجع الأجنبية ويستثنى من ذلك أبحاث الشريعة واللغة العربية.

9- مدة تعديل البحوث: يعطى الباحث مدة أقصاها **3 أشهر** لإجراء التعديلات على بحثه إن وجدت، وللمجلة الحق بعد ذلك في رفض البحث رفضا نهائيا حال تجاوز الباحث المدة المحددة للتعديل.

10- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقويم في حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم متابعة إجراءات النشر.

11- لا تجيز المجلة سحب الأبحاث بعد قبولها للنشر بأي حال من الأحوال ومهما كانت الأسباب.

12- **(التوثيق) قائمة المراجع:**

- تهمش المراجع في المتن باستخدام الأرقام المتسلسلة، وتبين بإيجاز في قائمة بآخر البحث بحسب تسلسلها في المتن؛ على أن توضع قبل قائمة المصادر والمراجع.
- وكيفية هذا الإجراء: أن يقوم الباحث بوضع حاشية سفلية بطريقة إلكترونية لكل صفحة كما هو معهود، ثم بعد أن ينتهي الباحث من بحثه كاملا يقوم بنقل هذه الحواشي مرة واحدة إلى نهاية البحث عن طريق اتباع طريقة ذلك من خلال هذا الفيديو التوضيحي (*تعلم وورد: نقل الحواشي السفلية الى آخر صفحة دفعة واحدة*)

t=87s&v=al_g_hAweCU?https://www.youtube.com/watch

https://youtu.be/al_g_hAweCU

للإشارة إلى المرجع في الموضع الأول، هكذا:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2. ج: 2، ص: 145.

وفي المواضع الأخرى له يشار إليه، هكذا:

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مرجع سابق، ج: 3، ص: 150.

- توثق **المصادر والمراجع** في قائمة واحدة في نهاية البحث، وترتب هجائياً حسب الاسم الأخير للمؤلف، وذلك باتباع الطريقة التالية:

الكتاب لمؤلف واحد:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2.

للمؤلف أكثر من كتاب

ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمذاني. (1979). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

ـــ. (1992). إعراب القراءات السبع وعللها. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الكتاب لمؤلفَين اثنين:

البغا، مصطفى ديب. مستوى، محي الدين. (1996). الواضح في علوم القرآن. دمشق: دار العلوم الإنسانية.

الكتاب لثلاث مؤلفين أو أكثر:

محمد كامل حسن وآخرون. (2005). التجديد. كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.

المقالة في مجلة علمية:

راضي، فوقية محمد. (2002). "أثر سوء المعاملة وإهمال الوالدين على الذكاء". المجلة المصرية للدراسات النفسية. المجلد: 12. العدد: 36. ص 27-36.

المقالة في مؤتمر:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2018). "أثر المرأة في الدعوة والتربية في ضوء القرآن الكريم". المؤتمر الدولي للقرآن الكريم في المجتمع المعاصر. ماليزيا: جامعة السلطان زين العابدين.

الرسالة العلمية:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2016). "منهج ابن زنجلة في توجيه القراءات في كتابه حجة القراءات". رسالة دكتوراه، جامعة السلطان زين العابدين.

المؤلفات المترجمة:

القاضي، عبد الفتاح. (د. ت). تاريخ المصحف. (تر: إسماعيل محمد حسن). ترنجانو: المؤسسة الدينية.

13- عند قبول البحث للنشر يوقع الباحث على انتقال حقوق ملكية البحث الى إدارة معتمد

14- لهيئة التحرير الحق بإجراء أي تعديلات من حيث نوع الحروف ونمط الكتابة، وبناء الجملة لغوياً بما يتناسب مع نموذج المجلة المعتمد لدينا.

15- قرار هيئة التحرير بالقبول أو الرفض قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها في عدم إبداء الأسباب.

16- يمكن للباحث الحصول على بحثه المنشور والعدد الذي نشر فيه بحثه من موقع المجلة إلكترونياً

ملاحظة: عزيزي الباحث إن هذه المواصفات مأخوذة عن لوائح دولية مُعتمدة، وهي تعزز من مستوى بحثك من حيث الشكل الذي لا يقل أهمية عن المضمون، وإن أية مخالفة لها ستكلفك تأخيراً إضافياً يمكن تجنبه في حال الالتزام بها.

آليات النشر والإحالة:

بعد تسلم إدارة المجلة نسخة البحث من الباحث، تقوم بإحالتها إلى المحكمين، وتلتزم بمدة لا تزيد عن **30** يوماً لتزويد الباحث بتقرير عن بحثه يتضمن الملاحظات، بعدها يمهل البحث مدة لا تزيد عن **90 يوماً** (**3 أشهر**) للأخذ بالملاحظات .

ينشر البحث بعد أول أو ثاني عدد يعقب تاريخ إصدار خطاب قبوله للنشر على الأكثر، حسب أولوية الدور وزخم الأبحاث المحالة للنشر.

Content